



ابن رشد للدراسات

مجلة فصلية علمية محكمة

للعلم
الاجتماعية
والإنسانية



تصدر عن

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

المجلد الثاني العدد السابع آب ٢٠٢٥

VOL. 2 ISSU. 7 AUGUST 2025



ابن رشد للدراسات

ISSN 3007-021X

ISSN (online) 3006-7634

مجلة فصلية علمية محكمة للعلوم الاجتماعية

والإنسانية تصدر عن

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

الأردن

رئيس التحرير المسؤول

د. يونس الجمرة

العدد السابع

المجلد الثاني، آب ٢٠٢٥

الآراء الواردة في المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

حقوق النشر محفوظة، ولا يجوز الاقتباس من مواد المجلة دون الإشارة للمصدر

هيئة التحرير والهيئة الاستشارية

العدد السابع، المجلد الثاني، آب ٢٠٢٥



سكرتارية التحرير

د. محمود الفطافطة

د. عزام أبو الحمام

د. خضر السرحان

د. صايل خطابية

هيئة التحرير الاستشارية

الدولة	الاسم	الدولة	الاسم
الأردن	د. أسماء خصاونة	الأردن	د. أريج جابر
الأردن	د. ربيعة الرفاعي	الأردن	د. خالد الشريدة
الأردن	د. علي الحلاق	الأردن	د. خالد مياس
المغرب	د. أسماء إنبلا	موريتانيا	د. عبد السلام يحي سيد
ليبيا	د. إكرام البشير الجمل	الأردن	د. محمد بني عيسى

هاتف

٠٠٩٦٢٧٨٨٠٣١٠٣١ / ٠٠٩٦٢٧٩٩٠٤٥٠٠٠

البريد الالكتروني

ibn.rushid@yahoo.com / ibn.rushed01@gmail.com

الموقع الالكتروني

<https://ibn-rushed.com/>

هيئة التحرير والهيئة الاستشارية

العدد السابع، المجلد الثاني، آب ٢٠٢٥



الهيئة الاستشارية

الدولة	الاسم	الدولة	الاسم
الأردن	الأستاذ الدكتور إحسان الرباعي	الأردن	الأستاذ الدكتور علي محافظة
العراق	الأستاذ الدكتور فتحي سالم اللهبي	الأردن	الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق
المغرب	الأستاذ الدكتور نور الدين إمعيط	الأردن	الأستاذ الدكتور وليد عبد الحي
السنغال	الأستاذ الدكتور محمد المختار	الأردن	الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس
الجزائر	الأستاذ الدكتور حمادو بن عمر	تونس	الأستاذ المميز الدكتور إبراهيم جدلة
الأردن	الأستاذ الدكتور عمران محافظة	الأردن	الأستاذ الدكتور لطفي أبو الهيجاء
الأردن	الأستاذ الدكتورة ثروت الحوامدة	الأردن	الأستاذ الدكتور فايز أبو عريضة
الجزائر	الأستاذ الدكتور صابرينة الواعر	الأردن	الأستاذ الدكتور وليد حميدات
المغرب	الأستاذ الدكتور نعمة ماء العينين	الأردن	الأستاذ الدكتور أحمد جوارنة
سوريا	الدكتورة أشواق عباس	الأردن	الأستاذ الدكتور محمد عوض الهزايمة
مصر	الدكتورة إيمان صلاح عطاطة	الجزائر	الأستاذ الدكتور لخضر محمد بو لطيف
مصر	الدكتور صالح محروس محمد	الأردن	الأستاذ الدكتور فايز النجار
فلسطين	الدكتور ربيع عويس	الأردن	الأستاذ الدكتور محمد المومني
تونس	الدكتور نبيل قريسة	الأردن	الأستاذ الدكتور نبيل النجار
العراق	الدكتورة هند فخري سعيد	فلسطين	الدكتور محمد نعيم فرحات
روسيا	الدكتور عمار قنّاة	الجزائر	الأستاذ الدكتور محمد كنتاوي
الأردن	الدكتور يوسف ربابعة	السعودية	الأستاذ الدكتور طلال الطريفي
الأردن	د. ابراهيم غرايبة	الأردن	الدكتور خالد شقران

تعليمات النشر (١)

العدد السابع، المجلد الثاني، آب ٢٠٢٥



- (١) تنشر مجلة ابن رشد للدراسات البحوث العلمية الأصلية للباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية فقط.
- (٢) يطبع البحث على جانب واحد من الورقة مستخدماً فراغاً مزدوجاً وحواشي (٢,٥ سم من كل جانب على الأقل) ويجب ترقيم الصفحات .
- (٣) يشترط في البحث ألا يكون قد نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر.
- (٤) تخضع البحوث للتحكيم حسب الأصول العلمية المتبعة ، وفي حال طلب تعديلات على البحث يعاد إلى الباحث لإجراء التعديلات المطلوبة .
- (٥) لا تلزم المجلة بنشر البحث إلا بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، أو تتولى هيئة التحرير إجراء بعض التعديلات المطلوبة وفقاً لخطة النشر .
- (٦) أن يكون البحث مطبوعاً باستخدام برنامج Word، وفقاً للنموذج الموجود في تعليمات النشر التالية:
- أن يكون عنوان البحث الرئيسي بالتنسيق التالي (Arial/Bold/14) للغة العربية (Times New Roman/Bold/14) للغة الإنجليزية.
- أن يكون تنسيق العناوين الفرعية (Arial/Bold/12)
- أن يكون تنسيق متن البحث (Arial/12)
- أن لا تزيد عدد كلمات البحث عن ٥٠٠٠ كلمة بحده الأقصى ١٥ صفحة A4 والمسافة بين الأسطر ١,٥
- يرسل البحث إلى رئيس تحرير المجلة بواسطة البريد الإلكتروني من خلال البريد الإلكتروني علماً أنه لن يتم استلام أي نسخ ورقية من البحث.
- يجب أن يتضمن البحث العنوان وأن يكون معبراً عن المحتوى وعليه اسم الباحث/الباحثين.
- (٧) الملخص يجب أن لا يزيد عن ١٥٠ كلمة ، ويحتوي على هدف الدراسة ، والمنهج ، والنتائج والتوصيات
- (٨) ترقيم الجداول والأشكال على التوالي حسب ورودها في البحث.
- (٩) عند إجازة البحث للنشر تؤول حقوق الملكية للمجلة.

تعليمات النشر (٢)

العدد السابع، المجلد الثاني، آب ٢٠٢٥



١٠) تكتب المصادر والمراجع في الهامش في آخر البحث ، يشار إلى المصادر الأساسية أولاً و المعاجم بمختلف أنواعها والبقية بالترتيب كما يلي :

- يكتب اسم المؤلف / أسماء المؤلفون كما هو/هم ، وإذا كانوا أكثر من اثنين ، يكتب الاسم الأول ويشار للبقية (آخرون) ، سنة النشر ، اسم المرجع ، الناشر ، الطبعة ، مكان النشر ، الصفحة .
- الكتب المترجمة ، كما سبق مع ذكر المترجم بعد اسم المرجع مباشرة .
- المجالات : اسم المؤلف : عنوان البحث أو الدراسة ، اسم المجلة ، العدد ، المجلد ، السنة ، الصفحة
- رسائل الدكتوراه أو الماجستير : اسم المؤلف ، عنوان الرسالة ، الجامعة ، السنة ، الصفحة
- الكتب باللغة الانجليزية أو اللغات الأخرى ، اسم المؤلف ، سنة النشر ، اسم المرجع ، الناشر ، الطبعة ، مكان النشر ، الصفحة (يكتب باللغة الإنجليزية أو لغة المرجع) .
- المجالات باللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى ، اسم المؤلف ، عنوان البحث أو الدراسة ، اسم المجلد ، العدد ، المجلد ، السنة ، الصفحة (بالإنجليزية أو لغة المجلة) .
- المؤتمرات : اسم مقدم الورقة أو التقرير ، عنوان الورقة أو التقرير ، اسم المؤتمر ، مكان انعقاد المؤتمر ، السنة ، الصفحة .
- الصحف : اسم كاتب المقال أو الخبر ، عنوانه ، اسم الصحيفة ، مكان الصدور ، العدد ، التاريخ .
- المواقع الإلكترونية : اسم الموقع ، عنوان المقال أو الخبر ، اسم الكاتب ، الرابط باللغة الانجليزية ، تاريخ النشر ، الساعة.

- ١١) في حال نشر البحث لا يجوز لأي جهة أخرى إعادة نشره أو نشر ملخص عنه ، أو نشر ترجمة له في أي وسيلة (كتاب ، أو صحيفة ، أو دورية أخرى) إلا بموافقة خطية من إدارة المجلة .
- ١٢) يتم إبلاغ الباحث عن موعد النشر في مدة لا تزيد عن شهر من تاريخ استلام البحث .
- ١٣) تعتذر المجلة عن إعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .
- ١٤) تحتفظ المجلة بحقوقها في نشر البحث وفق خطة تحرير المجلة .
- ١٥) يدفع الباحث تكاليف النشر في حال الموافقة على نشر البحث ، ولا ينشر أي بحث قبل استلام التكاليف .
- ١٦) ترسل البحوث على العنوان التالي لرئيس التحرير :

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com

المحتويات

العدد السابع، المجلد الثاني، أيار ٢٠٢٥



افتتاحية العدد السابع

- غزة بين مأزقين

أ.د. وليد عبد الحي

أبحاث

- التأثير المتوقع لحرب غزة (٧ أكتوبر ٢٠٢٣) والثورة السورية (٨ ديسمبر ٢٠٢٤) على الإسلام السياسي في الأردن: دراسة استشرافية

ابراهيم غرايبة

دراسات

- قافلة حجاج شرقي الأردن كما رآها الرحالة خلال القرن الثاني عشر

الهجري الثامن عشر الميلادي

د. جمعان عبد الله الشهراني

- جزر غرب البحر الأبيض المتوسط وشبكات الخرائط البحرية وأثرها

على التجارة البحرية الساحلية وتجارة القوافل الإفريقية في العصور

الوسطى

د. محمد صالح حامد سيد أحمد

مقالات

- مظاهر زهد وإيثار النبي محمد صلى الله عليه وسلم
د. إيمان صلاح عطاطة

افتتاحية العدد السابع

غزة بين مازقين

الأستاذ الدكتور

وليد عبد العبي

غزة بين مأزقين

عند التمعن في المشهد القائم في فلسطين هذه اللحظة، فإن طرفي الصراع-المقاومة واسرائيل- يواجه كل منهما مأزقا معقدا على النحو التالي:

أولاً: المأزق الاسرائيلي:

يتمثل المأزق الاسرائيلي في جانبه الاستراتيجي في تنامي الدعوة الدولية لتبني حل الدولتين (بغض النظر عن قبول او رفض البعض العربي او الفلسطيني لها) ، وهو ما يعتبره نتنياهو "إثما سياسيا لن يقتطفه تحت أي ظرف من الظروف" ويسعى بكل قوته وحيله لتجنبه ، لكن مؤشرات الضغط على اسرائيل في اتجاه حل الدولتين تتبدى في المؤشرات التالية:

١. لو عدنا الى اتفاق أوسلو ١٩٩٣ وملحقاته سنجد ان الطرف الاسرائيلي أصر على تضمين الاتفاق العبارة التالية " اينما ورد تعبير الضفة الغربية في الاتفاق فهو يعني "يهودا والسامرة" بالنسبة لإسرائيل، ذلك يعني ان اسرائيل هي فلسطين كلها. وهنا من الضروري ملاحظة ان هذه العبارة تبناها "اليسار الصهيوني مع اسحق رابين وشيمون بيريز وليس مع الليكود المتحالف مع القوى الدينية التي لا ترى في فلسطين الا الارض الموعودة. ذلك يعني ان نتنياهو لا يعترف بكيان اسمه فلسطين لا قديما ولا حاضرا ولا مستقبلا، فكيف سيواجه مجتمعا دوليا تتسع دائرة قبوله بدولة فلسطينية، ولعل التوجه الاوروبي وبخاصة قوى الاستعمار التقليدي وآخرها تصريح الرئيس الفرنسي أمس بذلك -يسير في هذا الاتجاه بما يوحي لنتنياهو بمأزقه

- المحتمل. ومن الواضح أن توصية الكنيست الأخيرة بضم الضفة الغربية ليس إلا إجراء استباقيا لإجهاض التوجه لحل الدولتين
٢. التزايد الواضح في تأييد الرأي العام الشعبي الدولي لحل الدولتين، وقد تراوحت نسبة اصحاب النظرة السلبية تجاه إسرائيل طبقا لثلاثة استطلاعات من مؤسسات متخصصة ما بين ٦٩٪ - ٧٣٪، ولكن المقلق لنتنياهو هو ان التحول يتركز في شريحتين في كل دول العالم ومن ضمنها امريكا وفي الحزبين السياسيين الاكبر تحديدا، الشريحة الاولى هي النخب الثقافية، والشريحة الثانية هي شريحة الشباب، وهو ما يعني ان العقل والتشكل الاجتماعي مستقبلا يوحى بما يقلق نتنياهو، فلا بد له من وأد ذلك مبكرا.
٣. ان تزايد عدد الدول التي تؤيد فكرة دولة فلسطينية يكاد ان يصل الى ما نسبته ٨١٪ من دول العالم، وتمثل أكثر من ٩٥٪ من سكان العالم، فإذا استثنينا الولايات المتحدة، فان التوجه الاوروبي والروسي والصيني والياباني والهندي ومعظم الدول الاسلامية والاتحاد الافريقي وأغلب مجموعة الدول في امريكا اللاتينية تساند هذا التوجه، وهو ما يوحى لنتنياهو بضرورة التفكير لوضع استراتيجية مستقبلية لتمويه هذا التوجه اولا ثم طيه في ادراج الامم المتحدة، وهو امر ليس انجازه امرا بسيطا.
٤. اما الخطورة الاكبر في مأزق نتنياهو فتتمثل في ان قبوله بأي انسحاب من الضفة الغربية يعني خلع المستوطنات ، فإذا علمنا ان عدد المستوطنين في الضفة الغربية يساوي تقريبا عدد سكان اسرائيل عند تأسيسها عام ١٩٤٧، ناهيك عن أن اغلب المستوطنين هم من التيارات الدينية المتطرفة ، وأن التجربة التاريخية لخلع المستوطنات سابقا -ورغم قتلها في سيناء وغزة- كانت تجربة مريرة (مثل مستوطنة ياميت.. الخ)، وهو ما يجعل نتنياهو يستمع جيدا لتحذيرات احد اهم اعلام الدراسات المستقبلية في اسرائيل وهو ديفيد باسيينغ بان القبول بدولة فلسطينية يعني مباشرة حربا اهلية داخل اسرائيل،

فكيف يوفق ننتياهو بين ارادة دولية تتزايد نحو حل الدولتين وبين حرب اهلية محتملة إذا استجاب للنداء الدولي؟ هذا هو البعد الآخر في مازقه.

٥. تتجسد الحدة الاكبر في رفض حل الدولتين في القوى المتحالفة مع ننتياهو في ائتلافه الحكومي، فإن استجاب للدعوة الدولية سيتفكك ائتلافه، وان بقي الى جانب هذا الائتلاف فكيف يواجه الضغط الدولي المحتمل؟ انه مازق سياسي، وقد يصل الى حد الاغتيال كما جرى مع اسحق رابين.

وللخروج من هذا المازق تعمل اسرائيل على:

١. محاولة تأزيم العلاقات الفلسطينية الدولية من خلال تقديم حركات المقاومة بأنها حركات اراهبية لا تستجيب للدعوات السلمية، وتقديم السلطة الفلسطينية بكل اوزارها على انها سلطة فساد لا لأن اسرائيل حريصة على النزاهة بل لأنها تريد تفريغ التفكير في وجود سلطة فلسطينية مستقلة مهما كانت، فمن غير المنطقي ولا يستقيم ان تعترف اسرائيل بسلطة وطنية فلسطينية مستقلة من جانب وترفض دولة فلسطينية من جانب آخر، فإما قبولهما او رفضهما معا ولكل تبعاته.

٢. العمل على تعزيز فكرة التهجير من فلسطين بما فيها سكان ١٩٤٨، وان تستوعب الدول العربية وغيرها الفلسطينيين المقيمين فيها، وتهجير اراضي ١٩٦٧ لدول الجوار وشبه الجوار العربي، ولعل اقتراح ننتياهو بدولة فلسطينية في الاراضي السعودية او اطروحات بعض حلفائه بوطن بديل في الاردن أو التشاور مع بعض الدول الافريقية وكندا واستراليا... الخ لاستيعاب الجزء المتبقي، كل ذلك لطى فكرة الدولة الفلسطينية في اراضي ١٩٦٧.

٣. التعويل على توسيع التطبيع العربي مع اسرائيل (حجم التجارة العربية الاسرائيلية خلال مرحلة طوفان الاقصى تزايد طبقا لكل المراجع العربية والاسرائيلية والتقارير الدولية)، والهدف من ذلك هو تحويل الصراع العربي الصهيوني من صبغته الصفرية الى صبغته غير الصفرية، وهو ما سيُهمّش

التناقض حول فلسطين مع العالم العربي لصالح تنامي المصالح المشتركة المتجددة مع دول التطبيع ومع الواقفين في انتظار دورهم للدخول في نادي التطبيع العربي والاسلامي.

٤. تأجيج الميدان الاعلامي باعتبار القبول بدولة فلسطينية هو من باب معاداة السامية، ومساندة الارهاب، وايقاظ الهاجس الصليبي. وكل اساطير الدعاية للتأثير على الرأي العام.

ثانياً: المازق الفلسطيني:

قد يكون المازق الفلسطيني أكثر وطأة من مازق عدوهم، ويتمثل المازق في العجز عن تحقيق انتصار ميداني او وقف لإطلاق النار والدخول في تسوية فيها حد أدنى من الايجابية تتساوى مع حجم التضحية، ويعود كل ذلك الى:

1- ضعف المساندة الرسمية ممثلة في:

أ- غياب المساندة العربية بشكل عام، مع تراجع قوى المساندة تدريجياً، بل اتساع نطاق الحصار العربي والضغط الاعلامي العربي -بخاصة الخليجي والمصري -، وهو ما يعني غياب مقومات الصمود لفترات اطول، فحزب الله يتولى امره حالياً "انور السادات حزب الله"، والحشد الشعبي ذهب في اتجاه "تسمع جعجعة ولا ترى طحنا، وسوريا تشهد بداية محاولة تطبيق مشروع جدعون ساعر الذي نشره عام ٢٠١٥ وينفذه الآن "الجهاديون الجدد". بينما تحاول اليمن بأنصار الله كل جهدها لعرقلة هذا التراجع.

ب- الخلط المتعمد بين المقاومة الفلسطينية وبين حركة الاخوان المسلمين لغرض في نفس "يعقوب".

ت- غياب المساندة الاسلامية حتى في مستوى الاحتجاجات الشعبية والمظاهرات.

ث- تنامي النزوع البراغماتي في السياساتين الروسية والصينية تجاه الموضوع الفلسطيني

ج- ضعف المؤسسات الدولية في فرض توجهاتها القانونية والانسانية.

- ح- ضغوط فريق التفاوض الامريكي والعربي في الدوحة على المقاومة (عبر امريكا بنفوذها والمصري بمعايره، والقطري بكيس ماله)
- 2- ان القبول بحل الدولتين قد يؤدي الى انشقاقات بين قوى المقاومة (بخاصة حماس والجهاد) او داخل نفس هذه التنظيمات، وهو ما تتمناه سلطة التنسيق الامني او اسرائيل او اغلب الدول العربية.
- 3- ضغوط الحالة الانسانية في قطاع غزة على صانع القرار في المقاومة، وهي ضغوط يراهن نتنها هو على وصول المقاومة لحالة الياس والاستسلام من خلال الضغط العسكري والضغط الانساني والضغط النفسي الناجم عن انفضاض المساندة العربية الرسمية بخاصة من حول الموضوع الفلسطيني
- 4- العداء المستتر حينا والمعلن حينا آخر من سلطة التنسيق الامني للتضييق على المقاومة بالتنسيق مع التحالف "الإبراهيمي".
- ذلك يعني ان الاشتباك سيتواصل بأدوات قديمة وجديدة، والانهيار قد يطال الجانبين ولو بمستويات واشكال اخرى، فإذا كان ترامب "unpredictable": "فإن الشرق الاوسط "Unframeable"، فإذا اجتمع ال "Unpredictable" مع ال "unframeable" سترون المشهد الشاخص امامكم.. ربما.

أبحاث

التأثير المتوقع لحرب غزة (٧ أكتوبر ٢٠٢٣) والثورة السورية (٨ ديسمبر ٢٠٢٤) على الإسلام السياسي في الأردن: دراسة استشرافية

الأستاذ الباحث

إبراهيم خرايبة

Received : 18 / 6 / 2025

Revised: 10 / 7 / 2025

Accepted: 18 / 7 / 2025

Published: 1 / 8 / 2025



Ibn Rushd

ابراهيم غرايبة

باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية

الجامعة الأردنية

gharaibeh48@gmail.com

التأثير المتوقع لحرب غزة (٧ أكتوبر ٢٠٢٣) والثورة السورية (٨ ديسمبر ٢٠٢٤) على الإسلام السياسي في الأردن: دراسة استشرافية

The Expected Impact of the Gaza War (October 7, 2023) and the Syrian Revolution (December 8, 2024) on Political Islam in Jordan: A Prospective Study

ملخص

يحاول البحث استكشاف التحولات والاستجابات التي ظهرت أو يمكن ملاحظتها مرتبطة بحرب غزة والثورة السورية، مثل التحولات في الخطاب السياسي والأيدولوجي، والعلاقات مع الحكومة والمجتمع والتيارات السياسية والاجتماعية، والتحولات في موقف الحكومة الأردنية. ويهدف البحث إلى دراسة وفهم التأثير السياسي للأحداث وتداعياتها وعلاقتها بالسلطة السياسية والإسلام السياسي والمجتمع والتيارات السياسية والاجتماعية في الأردن. منهجية البحث تسلك الدراسة في تتبع المعطيات وبناء المعرفة الممكنة منها وصفا تحليليا، يحاول أن ينشئ من المصادر المتاحة، كالبيانات والخطابات السياسية والتقارير الصحفية والإعلامية والمقابلات واستطلاعات الرأي معرفة منظمة تقرب المستخدم من التفكير والتحليل للخيارات المستقبلية والمتوقعة. يبني الباحث مجموعة من السيناريوهات الممكنة والمتوقعة، ويحاول أن يجمع الأدلة والبيانات المؤيدة والمعارضة لكل سيناريو. ثم يرجح أحدها إن أمكن. وخلص الباحث إلى نتيجة مفادها ترجيح صعود الإسلام السياسي في الأردن وزيادة تأثيره الشعبي والانتخابي ونشوء تفاهات حذرة بين السلطة السياسية والإسلام

السياسي، وترجيح ألا تجري تحولات كبيرة أو جوهرية في الخطاب السياسي والعام للإسلام السياسي.

كلمات مفتاحية: الإسلام السياسي. هيئة تحرير الشام. الأردن. سوريا. غزة. حماس

Abstract

This research seeks to explore the transformations and responses that have emerged or can be observed in connection with the Gaza War and the Syrian Revolution. These include shifts in political and ideological discourse, relations with the government, society, and various political and social currents, as well as changes in the Jordanian government's stance. The study aims to examine and understand the political impact of these events, their repercussions, and their relationship with political authority, political Islam, society, and political and social movements in Jordan.

Methodology The study follows a descriptive-analytical approach, tracking data and constructing possible knowledge from available sources such as political statements, speeches, journalistic and media reports, interviews, and public opinion surveys. The goal is to systematically organize this information to enable deeper thinking and analysis of future and anticipated options. The researchers will develop a set of possible and expected scenarios and attempt to gather supporting and opposing evidence and data for each scenario. If feasible, they will determine the most likely

outcome. **Conclusion** The researchers concluded that the most probable outcome is the rise of political Islam in Jordan, with an increase in its popular and electoral influence. Additionally, cautious understandings between political authorities and political Islam are expected to emerge. However, significant or fundamental changes in the political and public discourse of political Islam are unlikely to occur.

Keywords: Political Islam, Hay'at Tahrir al-Sham, Jordan, Syria, Gaza, Hamas

مقدمة

شهد إقليم شرق المتوسط في السنتين الأخيرتين أحداثا كبرى؛ كان الإسلام السياسي الفاعل الرئيسي فيها، مثل حرب غزة (٧ أكتوبر ٢٠٢٣) والثورة السورية (٨ كانون اول ديسمبر ٢٠٢٤) والتي أطاحت بالنظام السياسي في سوريا بقيادة بشار الأسد، ويتوقع أن يكون لهذه الأحداث تأثير باتجاهات مختلفة على الإسلام السياسي في الأردن، على سبيل المثال حقق الإخوان المسلمون نجاحا كبيرا في الانتخابات النيابية الأردنية التي جرت في ١٠ أيلول سبتمبر ٢٠٢٤، وتراجع تأثير حزب الله على المجرىات السياسية في لبنان، كما ظهر في انتخابات رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

يهدف هذا البحث إلى تقدير تأثير هذه الأحداث وتداعياتها على الإسلام السياسي في الأردن، واتجاهات وطبيعة هذا التأثير، مثل الحضور السياسي والانتخابي، البرامج والمواقف السياسية والاجتماعية، العلاقة مع الحكومة والتيارات والقوى السياسية

والاجتماعية، والتأييد السياسي والإعلامي لدى الجمهور الأردني، والتحولات الأيديولوجية.

مشكلة البحث

يحاول البحث استكشاف التحولات والاستجابات التي ظهرت أو يمكن ملاحظتها مرتبطة بحرب غزة والثورة السورية، مثل التحولات في الخطاب السياسي والأيديولوجي، والعلاقات مع الحكومة والمجتمع والتيارات السياسية والاجتماعية، والتحولات في موقف الحكومة الأردنية.

هكذا يمكن للبحث أن يحلل ويخمن مجموعة من الإجابات والاحتمالات؛ مثل:

- ١- هل استفاد الإسلام السياسي في الأردن شعبيا أم خسر؟
- ٢- هل يتجه الإسلام السياسي في خطابه الأيديولوجي بعد الاحداث نحو الواقعية السياسية أم إلى التطرف الأيديولوجي؟
- ٣- هل تتجه علاقات الإسلام السياسي والسلطة السياسية في الأردن إلى التعاون والتقبل أم إلى التوتر والاختلاف؟
- ٤- ما التحولات في موقف التيارات السياسية والاجتماعية والرأي العام تجاه الإسلام السياسي في الأردن بعد الاحداث المشار إليها؟
- ٥- ما التأثير المتوقع لانتخاب رونالد ترمب رئيسا للولايات المتحدة على الحالة السياسية والعامة في الشرق الأوسط وأوكرانيا وما تأثير هذه السياسات المتوقعة على الإسلام السياسي في الأردن؟

أهمية البحث

برغم أن الأحداث وتداعياتها مازالت في بدايتها لكن يبدو واضحا أنها على قدر من الأهمية والعمق السياسي والاجتماعي ما يجعلها مرشحة للتأثير في الحالة السياسية

والاجتماعية في الشرق الأوسط، فقد سقط النظام السياسي في سوريا بعد أكثر من خمسين عاما من الهيمنة السياسية والشاملة على سوريا، وتعرض غزة والضفة الغربية لاحتمالات التحولات الكبرى، مثل التهجير والضم إلى إسرائيل، وتواجه حركة حماس التي هيمنت على غزة منذ العام ٢٠٠٦ لاحتمالات الانحسار والزوال وربما مزيد من القوة والتأثير.

وتوافقت الأحداث مع انتخاب رونالد ترمب رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية، وقد يكون له اتجاهات ومواقف راديكالية تجاه الأحداث والصراعات في الشرق والأوسط وأوكرانيا؛ ما يؤثر على مصير المنطقة والقوى السياسية والاجتماعية الفاعلة فيها.

لا تتوافر حتى اليوم (١٦ شباط فبراير ٢٠١٥) دراسات علمية تتناول التأثير المتوقع لحرب غزة ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ والثورة السورية ٨ ديسمبر ٢٠٢٤ على الإسلام السياسي في الأردن. وهذا يزيد أهمية هذه الدراسة ويجعلها أداة مرشحة للتفكير والتحليل لدى الباحثين وصانعي القرار والمشاركين في الحياة السياسية والعامة.

سوف يكون لانعدام الدراسات في هذا المجال أثر سلبي على هذه الدراسة لكن الباحث يأمل أن يوفر رؤية ممكنة للتفكير في الأحداث وتأثيراتها المحتملة، وأن تكون هذه الدراسة أساسا لدراسات أخرى تستفيد منها ومن المعرفة المتدفقة على الأحداث المتغيرة.

يتوقع أن هذه الدراسة تساهم في فهم أكثر عمقا وجدة للإسلام السياسي في الأردن، وعلاقة التحولات المتوقعة بالأحداث الإقليمية الكبرى. ويمكن أن تقدم أيضا فهما أعمق للعلاقة بين السلطة السياسية في الأردن وبين الحركات والتيارات الإسلامية في ظل الأحداث والتحولات الإقليمية الجارية. وقد توفر أساسا علميا لمتخذي ومصممي القرارات والسياسات يمكنهم من استيعاب التحولات والمستجدات السياسية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى دراسة وفهم التأثير السياسي للأحداث وتداعياتها وعلاقتها بالسلطة السياسية والإسلام السياسي والمجتمع والتيارات السياسية والاجتماعية في الأردن. والتقدير لإجابات عامة في السياسات العامة؛ مثل هل يتجه المجتمع الأردني والرأي العام إلى مزيد من التدين السياسي والتأثير على السلطات والمشرعين باتجاه "الأسلمة"؟ هل سيتأثر التنوع والاختلاف في الأردن في السياسة والدين والحياة اليومية والسلوك الاجتماعي؟ هل تواجه الاتجاهات العلمانية والليبرالية مرحلة من التضييق والانحسار؟ هل سيتأثر غير المسلمين من المواطنين والمقيمين في الأردن بالاتجاهات الجديدة المتوقعة؟ هل ستتأثر العلاقات الأردنية الإسرائيلية باتجاه التعاون أم التراجع والتوتر أم الفتور والركود؟ هل ستتجه السياسات الأردنية نحو "الأمننة" والتعامل مع حالة "الإسلام السياسي" باعتبارها تحدياً أمنياً؟ هل ينتظر وقوع أحداث أمنية في الأردن أو ضد إسرائيل عبر الحدود الأردنية الإسرائيلية؟

منهجية البحث

تسلك الدراسة في تتبع المعطيات وبناء المعرفة الممكنة منها وصفيًا تحليليًا، يحاول أن ينشئ من المصادر المتاحة، كالبينات والخطابات السياسية والتقارير الصحفية والإعلامية والمقابلات واستطلاعات الرأي معرفة منظمة تقرب المستخدم من التفكير والتحليل للخيارات المستقبلية والمتوقعة. سوف يبني الباحث مجموعة من السيناريوهات الممكنة والمتوقعة، ويحاول أن يجمع الأدلة والبيانات المؤيدة والمعارضة لكل سيناريو. ثم يرجح أحدهما إن أمكن.

المنطق النظري

نظراً لقلّة البيانات الأولية ومحدودية إمكانيات الباحث في معرفة اتجاهات الرأي العام

ومقابلة القادة السياسيين والاجتماعيين أو الوصول إلى بيانات ميدانية إن كانت موجودة؛ سوف يعتمد بشكل رئيسي على استخدام المنطق النظري، أي استخدام النظريات الاجتماعية والسياسية لأجل التقدير والاستشراف، ومراجعة هذه النظريات إلى المصادر المتاحة؛ وذلك لأهمية هذه النظريات واكتسابها صدقية متراكمة، ومظنة القدرة على استخدامها في التحليل والاستشراف.

فرضيات البحث

أ- سوف تؤدي الأحداث إلى زيادة تأييد وحضور الإسلام السياسي:

- العلاقة بين الإسلام السياسي والسلطة السياسية

١. يؤدي ذلك إلى توتر العلاقة بين الإسلام السياسي والسلطة السياسية. وتعمل السلطة على إضعاف جماعات ومؤسسات الإسلام السياسي.

٢. يؤدي ذلك إلى التعاون والمشاركة بين السلطة السياسية والإسلام السياسي، ويمكن أن يشارك الإسلاميون في الحكومة بعدد من الوزراء يتفق مع تأثيرهم السياسي والشعبي، ويمكن تشكيل حكومة برئاسة الإسلام السياسي. ويمكن بناء تفاهات عامة من غير مشاركة سياسية (فقط الاكتفاء بالمشاركة النيابية والنقابية والبلدية)

٣. تبقى الأوضاع كما هي.

- العلاقة بين الإسلام السياسي والتيارات العلمانية والليبرالية وغير المسلمين

١. يؤدي ذلك إلى صعود مخاوف وتوترات في أوساط التيارات العلمانية والليبرالية وغير المسلمين

٢. يؤدي ذلك إلى تفاهات اجتماعية وسياسية بين الإسلام السياسي

والتيارات الليبرالية وغير المسلمين

٣. تبقى العلاقة كما هي

• الخطاب السياسي والاجتماعي للإسلام السياسي

١. يؤدي ذلك إلى تحولات واقعية وبرامجية لتحسين قدرة الإسلام

السياسي على الاضطلاع بالقضايا والمطالب الاقتصادية

والخدماتية والاجتماعية بكفاءة وتفاهم مع جميع المواطنين على

اختلاف تنوع تياراتهم وانتماءاتهم

٢. يؤدي إلى مزيد من التشدد الديني والعمل على فرض سياسات

وتشريعات اجتماعية جديدة تقيد الحريات الدينية والشخصية

والاجتماعية، وتزيد القلق والتوتر مع الاتجاهات الليبرالية وغير

المسلمين.

٣. يبقى الخطاب كما هو

• العلاقة مع إسرائيل والغرب:

١. تتجه العلاقات الخارجية مع إسرائيل والغرب إلى التوتر والخلاف

٢. تتجه العلاقات الخارجية مع إسرائيل والغرب إلى مزيد من التفاهم

والتعاون

٣. تبقى العلاقة كما هي

ب- سوف يتراجع الإسلام السياسي في سياق تداعيات حرب غزة والثورة

السورية

• العلاقة مع السلطة السياسية:

١. تتراجع العلاقة بين الطرفين إلى مزيد من التوتر أو التجاهل، وتحاول السلطة التخلص من الإسلام السياسي أو تتبنى سياسات تزيد من إضعافه

٢. تتجه العلاقة إلى المشاركة والتعاون لمواجهة خصوم سياسيين واجتماعيين أو بناء شراكة آمنة غير مقلقة للسلطة السياسية.

٣. تبقى العلاقة كما هي

● العلاقة مع التيارات السياسية والاجتماعية الليبرالية وغير المسلمين

١. تأخذ العلاقة اتجاها إيجابيا باعتبار الإسلام السياسي شريكا آمنا غير مهيمن، وتتحو نحو التعاون وتطوير حياة سياسية واجتماعية قائمة على التقبل المتبادل

٢. تتجه العلاقة نحو العداء أو الخلاف أو التجاهل، وتحاول الجماعات غير الإسلامية التخلص نهائيا من الإسلام السياسي أو إضعافه.

٣. تبقى العلاقة كما هي

● الخطاب السياسي والعام للإسلام السياسي

١. يتجه الخطاب السياسي والعام إلى مزيد من التطرف والتعصب والأصولية

٢. يتجه الخطاب السياسي والعام إلى الاعتدال وتقبل الأفكار والاتجاهات المختلفة والمتنوعة

٣. يبقى الخطاب كما هو

● العلاقة مع إسرائيل والغرب

١. تتجه العلاقة نحو مزيد من التعاون

٢. تتجه العلاقة نحو التوتر والخلاف

٣. تبقى العلاقة كما هي

ت- استمرار الأوضاع كما هي من غير تأثير يذكر أو يكمن ملاحظته أو قياسه، وتستمر تيارات ومؤسسات الإسلام السياسي في الأردن كما هي مع بعض التعديلات الطفيفة في استراتيجياتها.

حدود البحث

تمتد الفترة الزمنية التي يغطيها البحث من ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ إلى منتصف شباط فبراير ٢٠٢٥. وجغرافيا يركز البحث على الأردن، مع الإشارة إلى التأثيرات الإقليمية عند الحاجة. وموضوعيا يناقش البحث أثر الأحداث الإقليمية على الإسلام السياسي في الأردن دون التطرق إلى الإسلام السياسي في دول أخرى. ودون بحث لمحتوى الإسلام السياسي أو محاكمته أو الدفاع عنه.

١. الإسلام السياسي في الأردن.

يشير مصطلح الإسلام السياسي إلى العمل السياسي بمحتوى إسلامي، ويشمل الجهود والجماعات التي تعمل في السياسية والمجال العام بأيديولوجيا مستمدة من الإسلام، وتدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية في كافة مجالات الحياة. يعرف قاموس أكسفورد مصطلح Islamism بأنه مصطلح يُستخدم لوصف الناشطين السياسيين أو الاجتماعيين الإسلاميين. صيغ هذا المصطلح تفضيلاً على المصطلح الأكثر شيوعاً "الأصولي الإسلامي". يلتزم الإسلاميون (الإسلاميون) بتطبيق رؤيتهم الأيديولوجية للإسلام في الدولة و/أو المجتمع. وغالباً ما يُنظر إلى موقفهم على أنه نقد للمؤسسة الحاكمة والوضع القائم. ينتمي معظمهم إلى منظمات أو حركات اجتماعية إسلامية (الحركات الإسلامية). في الأردن يشير المصطلح أساساً إلى جماعة الإخوان المسلمين وحزب جبهة العمل الإسلامي، لكنه تعريف يشمل أيضاً حزب التحرير الإسلامي والجهود والمؤسسات التي تعمل في هذا السياق، وبخاصة في الانتخابات العامة؛

النيابية والنقابية والبلدية. وفي عمليات التأثير والضغط باتجاه "الأسلمة" في التشريعات والتطبيقات المختلفة في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

بدأت جماعة الإخوان المسلمين تعمل في الأردن بتصريح من الحكومة في العام ١٩٤٥ ومنذ ذلك الحين تعمل الجماعة علنا وتشارك في الانتخابات النيابية والبلدية والنقابية، وفي عام ١٩٩٢ أسس الإخوان المسلمون حزب جبهة العمل الإسلامي، وكان للحزب تمثيل نيابي في معظم الانتخابات التي جرت في الأردن، وكان لافتا في الانتخابات النيابية التي جرت في العام ٢٠٢٤ حصول الإخوان المسلمين على أكثرية المقاعد النيابية المخصصة للقوائم الحزبية (١٧ مقعدا من ٤١) وهي نسبة تزيد على ما حققه الإخوان المسلمون في الانتخابات النيابية السابقة (٢٠٢٠، ٢٠١٦، ٢٠٠٧، ٢٠٠٣، ١٩٩٣، ١٩٨٩)

٢. وصف وتحليل الأحداث الرئيسية المحيطة

٢,١ حرب غزة ٧ أكتوبر ٢٠٢٣

يتوقع أن يشكّل وقف الحرب في غزة وتوقيع اتفاق الهدنة نقطة تحول مهمة ذات آثار بعيدة المدى. كما شكلت الحرب في مجرياتها أثارا سياسية واجتماعية وإقليمية كبيرة وممتدة في الإقليم، وقد تمتد زमानيا إلى سنوات وربما عقود طويلة. إقليميا: شاركت عدة جهات إقليمية ودولية في جهود الوساطة لوقف إطلاق النار، وهو ما يبرز أهمية الدبلوماسية الإقليمية في تخفيف حدة النزاعات في منطقة الشرق الأوسط. وقد تسفر الهدنة عن تغييرات في التحالفات الإقليمية، حيث تعيد الدول النظر في مواقفها بناءً على نتائج النزاع.

يوفر وقف إطلاق النار استقرارًا مؤقتًا لكن أسباب النزاع والحرب مازالت قائمة (Brookings Institution) وقد يمهد الاستقرار في غزة الطريق لاستئناف النشاط الاقتصادي، بما في ذلك التجارة عبر الحدود. ومن المتوقع أن تساهم القوى الإقليمية

والجهات المانحة الدولية بشكل كبير في جهود إعادة الإعمار، مما قد يعزز التعاون الاقتصادي والتنمية ومع ذلك، تعتمد هذه المبادرات على استمرارية الهدنة (World Bank).

لكن هل من أفق لسلم طويل الأمد؟ إن الهدنة وإن فتحت المجال للإغاثة والاستقرار لا تعالج الأسباب الجذرية للنزاع. سيتطلب تحقيق السلام الدائم مفاوضات شاملة تعالج القضايا الأساسية، بما في ذلك النزاعات الإقليمية، والحصار على غزة، والتطلعات الفلسطينية الأوسع نحو إقامة دولة (Chatham House).

وقد ظهرت تداعيات الحرب إقليمياً على نحو سريع ومباشر في لبنان وسوريا، إذ انتخب اللبنانيون رئيساً جديداً للجمهورية ورئيساً للوزراء من غير تعطيل، وتغير النظام السياسي في سوريا بقيادة بشار الأسد لتحل محله إدارة مؤقتة لسوريا محوراً "هيئة تحرير الشام" بقيادة أحمد الشرع رئيس الهيئة، وانتهت بذلك حقبة سياسية طويلة في سوريا، لينفتح المجال لسوريا جديدة.

٢،٢ انتخاب دونالد ترمب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية

تزامن وقف إطلاق النار مع انتخاب ترمب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، يتوقع أن سياسة الرئيس ترمب تجاه الشرق الأوسط تقوم على دعم قوي لإسرائيل والتزام بإنهاء الصراعات الطويلة. وقد أعرب عن نيته تعزيز العلاقات بين إسرائيل ودول الخليج العربي، بما في ذلك السعي لتحقيق اتفاق تاريخي بين إسرائيل والمملكة العربية السعودية. لكن التوتر القائم حتى الآن يرجح تأخر تحقيق هذه الأهداف.

يتوقع أن ينشئ انتخاب ترمب تحولات جيوسياسية في السياسة، والاقتصاد، والنزاع والحروب. يقدر إن الرئيس الأمريكي يدير السياسة الخارجية الأمريكية ضمن سياق اتجاهات الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة والسياسات شبه الدائمة للمؤسسات

الأمريكية الرئيسية الثلاث؛ وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزي (CIA)، وفي جميع الأحوال فإن المصالح والسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط لم تتغير كثيرا بتغير الرؤساء، وإن ما يؤثر فيها أكثر هو التطورات الإقليمية والعالمية والتعامل معها وإدارتها، لكن العقيدة الحاكمة للمواقف الأمريكية في الإقليم لم تتغير كثيرا، ولم تكن لصالح العدالة الدولية وحقوق ومطالب وتطلعات الأمم في أفريقيا وغرب آسيا. إن التغيير الممكن والتأثير المتوقع في اتجاهات ومستقبل إقليم شرق وجنوب المتوسط ليس سوى التغيير الممكن في معادلة القوة والضعف لأطراف المباراة ومكونات المشهد القائم والمستقبلي.

تظل التجربة السابقة لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترمب هي المرجعية الحاكمة للتقدير والتحليل، وإن كان مرجحا أن ترمب في رئاسته الثانية سيكون مختلفا عن تجربته الأولى، فهو سوف يسلك بعقل من لا يتطلع إلى إعادة انتخابه، ومن يرغب أن يترك أثرا طويلا إن لم يكن دائما في العالم؛ وهو الحلم الذي شغل كل رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في نهايات دورته الثانية، ستكون "صفقة القرن" أو "سلام إبراهيم" هي أكثر ما يستحضر في التحليل والتفكير لسياسات ترمب واتجاهاته، وهي ببساطة السلام المفروض بالقوة والمكافأة الاقتصادية، أي سيكون في مقدور "السكان" أن ينعموا بمستوى معيشي أفضل أو تقديم وعد اقتصادي مقابل ترسيخ وتمكين الاحتلال وتحويله إلى أمر واقع كما هو بدون تغيير يذكر، ليس سوى سلام وحياة أفضل! وسوف يجذب المشروع أو يجلب عنوة الدول المجاورة والمحيطية. لن تتغير الجغرافيا في أي اتجاه، لكن معناها ومحتواها سوف يكون مختلفا. الجميع ينظر إلى الخريطة، لكن أحدا لا يراها كما يراها الآخر.

ورغم أن خطط ترمب قد تكون غير واضحة، فقد بحثت مجلة السياسة الخارجية في سجله الحافل وكذلك في تصريحاته وتصريحات مستشاريه لتقديم أدلة حول ما يحمله

مستقبل السياسة الخارجية الأميركية. وكما أظهرت فترة ولاية ترمب الأولى، فإن نزواته الشخصية تتناقض غالباً مع أجندة مستشاريه؛ وهذه المرة، قد يكون لديه قبضة أقوى على عجلة القيادة كرئيس للمرة الثانية ومن المرجح أن يكون لديه دائرة أكثر ولاءً من المستشارين. لكن التحدي الرئيسي والأول لترمب والولايات المتحدة الأميركية هو الصين. ومن المرجح أن يستمر ترمب في ولايته الثانية في تحديد الصين باعتبارها التحدي الأكبر للأمن القومي للولايات المتحدة. ولكن فيما يتصل بقضايا محددة — وبالتأكيد الأسلوب العام — فإن ولاية ترمب الثانية سوف تجلب تغييرات كبيرة.

كما كان الحال في ولايته الأولى، وضع ترمب نصب عينيه التجارة في المقام الأول. قال ترمب لصحيفة وول ستريت جورنال في مقابلة أجريت معه في أكتوبر/تشرين الأول إن "التعريفات الجمركية" هي "أجمل كلمة في القاموس"، وأولويته الأكثر وضوحاً عندما يتعلق الأمر بالصين هي إعادة إطلاق الحرب التجارية التي بدأها في عام ٢٠١٨. يدعو ترمب إلى خفض اعتماد الولايات المتحدة على الصين في جميع السلع الأساسية. لكن هذه مجرد البداية. حافظ بايدن على التعريفات الجمركية الأصلية لترمب وأضاف بعض التعريفات الإضافية؛ ويستعد ترمب للذهاب إلى أبعد من ذلك بكثير. مع التعريفات الجمركية الموعودة التي تبلغ ٦٠٪ على الأقل على جميع الواردات من الصين، سيقترب ترامب من الانفصال الكامل بين أكبر اقتصادين في العالم كما تبناه بعض أقرب مستشاريه.

مثل هذه الخطوة من شأنها أن تؤدي إلى تفاقم العلاقات الثنائية المتوترة بالفعل وتكلف الأسر الأميركية والمصدرين الأميركيين أحد أكبر أسواقهم. ولكن التأثيرات المترتبة على سياسة تجارية عدوانية تجاه الصين من شأنها أن تؤدي أيضاً إلى إضعاف أصدقاء وحلفاء محتملين آخرين للولايات المتحدة.

لقد وعد ترمب بفرض تعريفات جمركية تصل إلى ٢٠٪ على جميع البلدان الأخرى، بما في ذلك الاتحاد الأوروبي. لن يؤدي هذا إلى انتقام فوري ومُجهز جيداً على الصادرات الأمريكية فحسب، مما يؤدي إلى إضعاف آفاق الاقتصاد الأمريكي، بل إنه من شأنه أيضاً أن يثبط آفاق تحالف كبير من الاقتصادات الكبرى يمكن أن يفرض ضغطاً منسقة على بكين للحد من انتهاكاتها التجارية الأكثر فظاعة.

تمسك ترمب بسياسة الغموض الاستراتيجي التي تنتهجها الولايات المتحدة منذ فترة طويلة عندما سُئل عما إذا كان الجيش الأميركي سيدافع عن تايوان في حالة وقوع هجوم أو حصار صيني. كما يوفر عدم القدرة على التنبؤ بتصرفات ترمب الشخصية طبقة خاصة من الغموض، سواء كانت استراتيجية أم لا. إن الأصوات التي ستؤثر في نهاية المطاف على حكومة ترامب ستؤثر أيضاً على سياسة إدارته تجاه الصين. وكما ذكرت مجلة فورين بوليسي، فإن صقور الصين الجمهوريين منقسمون حول مدى المنافسة الوجودية مع الصين، إلى جانب أسئلة رئيسية أخرى، بما في ذلك مدى فصل الاقتصاديين. وكما حدث في فترة ولاية ترمب الأولى، فإن خطوط المعركة هذه ستنتقل بالتأكيد إلى البيت الأبيض.

٢,٣ الثورة السورية ٨ كانون أول ديسمبر ٢٠٢٤

تمثل الثورة السورية، التي بلغت ذروتها بنقطة تحول تاريخية في ٨ ديسمبر ٢٠٢٤، نهاية حقبة من الحكم الاستبدادي. يفتح هذا الانتصار آفاقاً مستقبلية متعددة، وفهم هذه المسارات المحتملة يعد أمراً حاسماً لأصحاب المصلحة المحليين والدوليين. وكانت الثورة قد بدأت في عام ٢٠١١ وتظل واحدة من أكثر الصراعات تعقيداً وتعدد أبعاد في التاريخ الحديث. وبينما اتسمت المراحل المبكرة منها باضطرابات مدنية وصراع مسلح وتدخلات خارجية. أعادت التطورات الأخيرة صياغة ديناميكيات الثورة. وأدت إلى زيادة التنافس بين القوى الإقليمية.

كانت الثورة محطة مهمة في تاريخ سوريا والإقليم. كما أنها كانت مميزة في سرعتها وسلميتها، ولقيت تأييداً كبيراً في سوريا، ويبدو حتى الآن أنها لا تواجه تهديداً سياسياً أو عسكرياً جدياً من بقايا النظام السياسي السابق أو جماعات عسكرية أو إثنية، وتمتلك فرصة معقولة للاستمرار والاستقرار. فقد أنهت نظاماً سياسياً استمر أكثر من ٦٠ سنة، منها ٥٥ سنة كانت حكماً عائلياً أقلولياً. وفتحت الثورة المجال لإعادة تنظيم البلاد والعلاقات السياسية والإقليمية مع دول الجوار والعالم على فلسفة وأسس جديدة مختلفة جذرياً عن الاتجاه الذي نزلت إليه سوريا منذ عام ١٩٥٧ في التحالف مع الاتحاد السوفيتي ثم روسيا وإيران، وقد تأخذ سوريا وجهة جديدة في علاقاتها الإقليمية قائمة على التحالف مع تركيا والمشاركة السياسية الإيجابية مع السعودية والأردن ولبنان وربما العراق، وعلى المستوى المحلي الوطني تواجه الإدارة الجديدة التي تشكلت في سوريا عقب انهيار نظام بشار الأسد تحديات كبرى لأجل إعادة الاستقرار والإجماع الوطني والإعمار والتنمية الاقتصادية..

تقود سوريا اليوم جماعة هيئة تحرير الشام (HTS) إحدى أبرز المنظمات الإسلامية المسلحة العاملة في سوريا، وكانت لاعباً رئيسياً في الحرب الأهلية المعقدة في البلاد. إن فهم هيئة تحرير الشام ضروري لمعالجة الصراع السوري وتداعياته الإقليمية الأوسع. تعود جذور هيئة تحرير الشام إلى جبهة النصرة، فرع تنظيم القاعدة في سوريا، التي تأسست عام ٢٠١٢ عملت المجموعة كفرع للقاعدة واستهدفت التغلغل في صفوف المعارضة السورية مع الحفاظ على أجندتها الإسلامية.

في عام ٢٠١٦، أعادت جبهة النصرة تسمية نفسها جبهة فتح الشام، في خطوة هدفت إلى قطع علاقاتها العلنية مع القاعدة وتوسيع قاعدتها بين الفصائل والمدنيين السوريين. بحلول أوائل عام ٢٠١٧، اندمجت المجموعة مع فصائل إسلامية أخرى لتشكيل هيئة تحرير الشام، مما عزز سيطرتها على محافظة إدلب. وعلى الرغم من إعلانها

الاستقلال الأيديولوجي والعملياتي عن القاعدة، يرى العديد من المحللين أن قيادتها وأهدافها لا تزال مرتبطة بالحركة الجهادية الأوسع.

تتبنى هيئة تحرير الشام أيديولوجية السلفية الجهادية، مع التركيز على إقامة دولة إسلامية تحكمها الشريعة. وعلى عكس بعض سابقها، حاولت الهيئة تقديم صورة أكثر براغماتية من خلال الدخول في مفاوضات، وإنشاء هياكل حكم مدني، ومحاولة كسب دعم المواطنين. ، حيث حاولت الحركات بمختلف توجهاتها - من الإصلاحية إلى المتشددة - إعادة تعريف أدوارها في النظام السياسي الناشئ.

تُظهر مسيرة الهيئة تحولاً براغماتياً من الجهاد العالمي إلى مشروع إسلامي وطني. وتشمل الجوانب الرئيسية: الحكم العام: أنشأت الهيئة هياكل إدارية في شمال غرب سوريا، مثل "حكومة الإنقاذ"، لتعزيز شرعيتها. الاعتدال في الخطاب: مع الحفاظ على إطار إسلامي، خففت الهيئة خطابها لتتماشى مع تطلعات المواطنين، مبتعدة عن الجماعات المتطرفة مثل تنظيم داعش. التفاعل مع الفاعلين الخارجيين: سعت الهيئة إلى الدخول في مفاوضات وإظهار نفسها كفاعل سياسي مشروع، رغم تصنيفها كمنظمة إرهابية من قبل عدة دول.

٣. الإسلام السياسي في الأردن والتفاعل مع الأحداث السياسية المحيطة

يتوقع أن يكون لتجربة هيئة تحرير الشام تأثيرات سياسية وأيديولوجية على الإسلام السياسي في الأردن؛ مثل التحول نحو الأجندات الوطنية، والتركيز على السياقات السياسية والاجتماعية بدلاً من الأهداف العابرة للحدود. ويبدو واضحاً وأكيداً أن الأحداث في غزة وسوريا منحت الإسلام السياسي في الأردن زخماً سياسياً وحضوراً وتأثيراً شعبياً.

حسب نظرية الواقعية السياسية فإن الدول والجماعات الفاعلة تسعى لملء الفراغ

واستغلال الفرص الناشئة عن الأحداث أو الفوضى أو التغيرات السياسية، (Waltz, 1979) وبرغم أن الدولة هي الفاعل الأساسي في السياسة الدولية، ويحركها دائما دافع تعظيم قوتها النسبية وضمان بقائها (Mearsheim, (Morgenthau, 1948) (2001) تعيد الدولة تحالفاتها وتراجع سياساتها (Gilpin, 1981) وهذا ما حدث حريا قبل الانتخابات النيابية الأخيرة في الأردن (١٠ سبتمبر ٢٠٢٤) فبعد مرحلة من التضييق السياسي الذي مارسه السلطة السياسية على الإخوان المسلمين منذ عام ٢٠١٣ ظهر تطور إيجابي واضح في العلاقة مع الإخوان المسلمين يمكن ملاحظته بالسماح للإخوان المسلمين رغم اعتبارهم جماعة غير قانونية بإجراء انتخاباتهم العامة لاختيار أعضاء مجلس شورى الجماعة والمكتب التنفيذي والمراقب العام والهيئات الإدارية للشعب، وهي عمليات تنظيمية وإجرائية وواسعة تحتاج إلى إدارة وتنظيم وتسهيلات كثيرة، إذ تحتاج أن تلتي ٤٠ هيئة عمومية في أنحاء المملكة لانتخاب هيئات إدارية للشعب وممثلين لمجلس الشورى، ثم يجتمع أعضاء مجلس الشورى المنتخبون لانتخاب أعضاء إضافيين ثم يجتمعون مرة أخرى لانتخاب مكتب تنفيذي ومراقب عام. جرى ذلك بموافقة ضمنية للسلطة، وأعلنت نتائج الانتخابات في وسائل الإعلام، حيث انتخب مراد العضيلة مراقبا عاما للجماعة. وقد فهمت الحالة بأنها تفاهات جديدة بين الطرفين (السلطة السياسية والجماعة) تأتي في سياق حرب غزة والانتخابات النيابية.

كان واضحا أن السلطة السياسية تدرك تعاظم تأثير الإسلام السياسي بتأثير حرب غزة، وأنها تريد إدارة علاقة جديدة تأخذ بالاعتبار الوزن الجديد المتوقع للإسلام السياسي في الحياة السياسية، فمنحتهم امتيازات جديدة لم يكونوا يحصلوا عليها لولا الحرب والتأثير الشعبي المتزايد للجماعة في الشارع وفي الرأي العام. لقد أنشأت الحرب توزيعا جديدا للقوة والتأثير.

يفترض أن الدول تتصرف بعقلانية لحماية مصالحها من خلال تقييم المخاوف الأمنية الوطنية، والضغط الاقتصادي، والعداوات التاريخية، (Schweller, 1998) فقد أجرت السلطة السياسية الانتخابات النيابية في موعدها المستحق دستورياً، برغم أن الأحداث والظروف السياسية المحيطة تبدو غير مهيأة لاستقرار سياسي وانتخابات عادية، وكان الحلّ من وجهة نظر السلطة اكتساب صدقية ومشروعية سياسية وبناء تفاهات جديدة مع خصوم سياسيين؛ ذلك أنهم برغم الخلاف معهم يساعدون في التماسك السياسي والاجتماعي وراء السلطة السياسية لمواجهة التحولات والضغط الكبرى الناشئة عن الحرب في غزة والانتخابات الرئاسية الأمريكية والأحداث الجارية في الإقليم والعالم (سوريا وأوكرانيا)

في هذا السياق فإن السيناريو المرجح هو التفاهم الحذر مع الإسلام السياسي في الأردن برغم المخاطرة باحتمال صعود وتأثير الإسلاميين في الشارع والحياة السياسية، والخلاف مع دول معادية للإسلام السياسي، مثل إسرائيل ومصر والسعودية والإمارات، لكنها مغامرة تحقق الاستقرار والتماسك السياسي، وفي الوقت نفسه يمكن للسلطة إدارة مجموعة من التناقضات للحفاظ على العلاقات الإيجابية مع الدول الصديقة والمجاورة وفي الوقت نفسه إدارة الحياة السياسية الداخلية والجدل الوطني باتجاه خفض التوترات والخلافات والغضب والاحتجاج.

تعد نظرية الاختيار العقلاني من أهم أدوات تفسير وتحليل التفاعلات السياسية والاجتماعية وتقدير المستقبل، وتصلح النظرية بشكل أساسي لتقدير وفهم اتجاهات ومواقف الإسلام السياسي في الأردن، فالافتراض الأساسي في العقلانية السياسية والاجتماعية أن الفاعلين يتخذون قراراتهم ومواقفهم واتجاهاتهم بناء على حسابات عقلانية تهدف إلى تعظيم مصالحهم، (Downs, 1957) هكذا يمكن التقدير أن الإخوان المسلمين وافقوا على المشاركة السياسية والحصول على حصة تعجبهم في

البرلمان في مقابل التهدة الشعبية وتخفيف الاحتقانات والاحتجاجات في الشارع بسبب ما يجري في غزة. (Becker, 1976) يتخذ الفاعلون قراراتهم بناءً على توقعاتهم لسلوك الآخرين، وهو ما ينعكس في تحليل التفاعل السياسي عبر نظرية الألعاب (Von Neumann & Morgenstern, 1944). فالناخبون يختارون المرشحين الذين يحققون لهم أكبر منفعة، بناءً على تقييمهم للبرامج السياسية والأداء الحكومي (Downs, 1957). والأحزاب ومنها الإسلام السياسي يسلكون في استراتيجيات عقلانية للفوز في الانتخابات، مثل تشكيل التحالفات أو تعديل السياسات لتوسيع قاعدة الناخبين. (Riker, 1962) وتنشئ الدولة أيضاً في هذه العلاقات والتوازنات سياسات ردع غير مباشرة، فتدرك الجماعات المشاركة والمعارضة قراراتها ومواقفها بناءً على حسابات دقيقة لمصالحها والمخاطر الناشئة عن القرارات والسياسات التي تتخذها. هكذا يمكن التنبؤ أن جماعات الإسلام السياسي سوف تراقب بإيجابية سياسات وحسابات السلطة السياسية وتنشئ البرامج والمواقف التي تحافظ على مكاسب المشاركة والتفاهات الحذرة.

يشكل الإسلام السياسي في الأردن جزءاً مهماً من المشهد السياسي، حيث تتمثل أبرز قواه في جماعة الإخوان المسلمين وحزبها السياسي، جبهة العمل الإسلامي. شهدت العلاقة بين الإسلاميين والدولة الأردنية تذبذباً بين الاحتواء والمواجهة، متأثرة بالعوامل الداخلية والإقليمية. وفي تحليل تاريخ العلاقة وديناميكيات السلطة الداخلية، وتفاعلات الحركة الإسلامية مع النظام، وتأثير التغيرات الإقليمية والدولية. وباستخدام تقدير مبنى على مزيج من النظرية الواقعية ونظرية الاختيار العقلاني؛ فإن العلاقة بين الدولة الأردنية والإسلاميين تتحدد بناءً على ميزان القوى بين الطرفين، حيث تسعى الدولة إلى تحقيق الأمن والاستقرار السياسي، بينما تسعى الحركات الإسلامية إلى توسيع نفوذها السياسي والاجتماعي.

تبنت الدولة الأردنية سياسة الاحتواء بدلاً من الإقصاء الكامل، حيث سُمح للإسلاميين بالمشاركة السياسية في البرلمان والنقابات، لكن ضمن قيود تمنعهم من تحدي السلطة وتمنع وصولهم مؤسسياً أو فردياً إلى قائمة محددة من مؤسسات الدولة وأجهزتها، مثل الجيش والأمن والقضاء والمناصب العليا مثل المدراء والأمناء العاميين والسفراء والحكام الإداريين والأساتذة الجامعيين والمناصب والوظائف المتقدمة في الوزارات والمؤسسات السيادية مثل التربية والتعليم والثقافة والشباب والتنمية الاجتماعية.

بدأت السلطة السياسية في سلسلة من الضغوطات على جماعات الإسلام السياسي منذ العام ٢٠١٤ بعد مرحلة من محاولات التفاهم والمشاركة في الأعوام الثلاثة السابقة والتي كانت مرحلة من الصعود الشعبي والجهادي وحركات الشارع العربي، لكن بعد انكسار "الربيع العربي" بدأت السلطات السياسية العربية ومنها الأردن تضيق على الحركات الإسلامية. وقد تعرضت الحركة الإسلامية للانقسام. كما اعتبرت الحكومة أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة غير قانونية فأغلقت مقراتها، وتحولت إلى جماعة تعمل بشكل غير رسمي أو قانوني.

في ظل هذا الوضع شارك الإسلاميون في الانتخابات النيابية لعامي ٢٠١٦ ثم ٢٠٢٠ وانسحبوا من انتخابات نقابة المهندسين التي كانت معقلاً تاريخياً لهم.

في التحليل وفقاً للحسابات العقلانية للمكاسب والخسائر فقد أثر الإخوان الانكفاء وتجنب المواجهة والتصعيد مع السلطة السياسية. وإن بقي الإخوان متمسكين بهدوء وإصرار في العمل والانتشار في الجامعات وفي المدارس من خلال جمعية المحافظة على القرآن الكريم التي تجتذب عشرات الآلاف من الفتيان والناشئة.

استمرت السلطة في السماح للإسلاميين بالمشاركة ضمن سياسات وقيود تحد من نفوذهم ومكاسبهم. وأبعدوا عن النقابات والبلديات. وكان المشهد يبدو بين عامي ٢٠١٤ - ٢٠٢٤ أن الإسلاميين يواجهون مرحلة من الانحسار والتراجع،

لكن يبدو واضحاً اليوم بعد حرب غزة والثورة السورية أن الإسلام السياسي يشهد مرحلة من الصعود الكبير لا تقل إن لم تزد عن مرحلة الربيع العربي ٢٠١١ - ٢٠١٤

ثمة سيناريو يطرح دائماً عن احتمالات تراجع تأثير الإسلام السياسي وانحساره، سواء لصالح تيارات وجماعات سياسية أخرى أو بدون صعود جماعات بديلة، من الليبراليين أو جماعات وطنية واجتماعية. يبدو ذلك غير وارد حتى اليوم. لكن خيار المواجهة والخلاف بين الإسلام السياسي والسلطة السياسية يظل وارداً ومحتماً. بسبب عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين، وبسبب المخاوف الناشئة عن صعود الجماعات الإسلامية في فلسطين وسوريا. وقد تتصاعد الضغوط الأمنية والسياسية على الإسلاميين، وربما تتحول بعض التيارات الإسلامية إلى أنماط سرية أو أكثر تطرفاً نتيجة القمع السياسي. أو يمكن أن تنشأ اضطرابات شعبية تدفع الإسلاميين للعودة إلى الواجهة عبر استغلال الاحتجاجات الاجتماعية.

٤. تأثير الأحداث المحيطة على الدولة والمجتمع في الأردن

مؤكد أن الدولة والمجتمعات في الأردن ليست في منأى عما يدور من أحداث إقليمية، فهي لا تخص الإسلام السياسي وحده. ويشير استطلاع الرأي الذي أجراه مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية، ونشر في ١٣ كانون الثاني يناير ٢٠٢٥ إلى أن الأردنيين مشغولون كثيراً باستقرار سوريا ويتوجسون من التقسيم والنزاع الطائفي. ويعولون أيضاً على تحسن الأوضاع وتراجع تهريب المخدرات من سوريا.

يعتقد ثلثا الأردنيين أن الأوضاع في سوريا تتجه إلى الاستقرار قريباً، ويرى ٤٠ في المئة منهم أن الوضع أصبح آمناً في سوريا. ويرجح ٥٤ في المائة أن نزاعات طائفية سوف تحدث في سوريا، ويعتقد النصف أن سوريا سوف تنجو من التقسيم. ويرى أكثر

من نصف المواطنين (٥٢ في المائة من العينة الوطنية. ٥٩ في المئة من قادة الرأي) أن سقوط نظام الأسد في سوريا سوف يكون له أثر إيجابي في الأردن

يعتقد ٦٩ في المئة من الأردنيين أن الوقت أصبح مناسباً لعودة اللاجئين السوريين إلى بلادهم. ويرى ٧٠ في المئة من المواطنين، ٨٣ في المئة من قادة الرأي أن عمليات تهريب المخدرات إلى الأردن أو عبر الأردن سوف تتراجع.

وبالنسبة لحرب غزة فإن ٦٩ في المئة من الأردنيين يعتقدون أن الحرب أنشأت تضامناً أردنياً فلسطينياً.

تجد ميريسا خورما في دراسة نشرت في مركز ويلسون في واشنطن أن سقوط نظام الأسد في سوريا سيكون معقداً بالنسبة للأردن. فقد يمنح انتصار هيئة تحرير الشام (HTS) نفوذاً أكبر للإسلاميين، في حين أن إعادة فتح التجارة ستعزز الاقتصاد الأردني. لذلك، يجب على الأردن أن يعمل عن كثب مع القادة الجدد في سوريا لمواجهة التحديات المقبلة.

وقد كان وزير الخارجية الأردني أيمن الصفدي أول وزير خارجية عربي يزور سوريا ويلتقي بالقائد الفعلي الجديد أحمد الشرع. أكد الصفدي خلال تصريحاته في دمشق دعم الأردن للشعب السوري، وهو الدعم الذي تعهد به العاهل الأردني الملك عبد الله الثاني، مشدداً على احترام الأردن لـ "إرادة الشعب السوري وخياراته." حسب خورما فإن زيارة الصفدي تعكس النهج البراغماتي للسياسة الخارجية الأردنية تجاه جاراتها الشمالي، بينما يسعى الشعب السوري والإدارة الانتقالية الجديدة إلى رسم مسار نحو التعافي وإعادة الإعمار.

تقول خورما: رغم أن حزب جبهة العمل الإسلامي قد يشعر بالقوة بعد صعود هيئة تحرير الشام في سوريا وانتصارها الأخير في البرلمان الأردني، إلا أن الحكومة

الأردنية ليست جديدة على التعامل مع الإخوان المسلمين. وأشارت خورما إلى مقابلة الشرع مع صحيفة الشرق الأوسط التي أكد فيها أن سوريا لن تكون منصة للهجوم أو لإثارة القلق لأي دولة عربية تحت أي ظرف من الظروف. " وهذا تصريح واضح لحزب جبهة العمل الإسلامي وغيره من فروع الإخوان المسلمين بأن هيئة تحرير الشام لن تدعم مثل هذه المساعي. كما أنها خطوة أساسية لفتح باب الدبلوماسية مع الأردن والدول العربية الأخرى، وهو ما يجري العمل عليه بالفعل.

وقد تمثل سوريا الجديدة فرصا واعدة بالنسبة للأردن وسوريا لتعاون جديد مثل المشاركة في الإعمار وإعادة التأهيل؛ إذ يمكن للأردن أن يقدم دعمه عبر نقل المعرفة والخبرات، والاستفادة من قطاعه الإنشائي القوي ليكون جزءا من جهود إعادة الإعمار.

٥. الخطاب السياسي والعام للإسلام السياسي بعد حرب غزة والثورة السورية

يتوقع وفق النظريات السياسية والاجتماعية الواقعية والاختيار العقلاني أن الجماعات الإسلامية تراوح في خطابها بين الاعتدال أو الواقعية وبين التشدد حسب الفرص الممكنة ومدى قوتها وحضورها وحسب سياسات الدولة وقوتها أيضا. تنزع الجماعات الإسلامية إلى خطاب محافظ متشدد مادام ذلك ممكنا أو ليس خطيرا، أو إذا كانت قادرة على فرض خطابها من غير تكاليف أو تضحيات سياسية أو أمنية أو انتخابية. وبما أن أغلبية المجتمعات الأردنية تنزع إلى اتجاهات ومواقف دينية محافظة فإن الجماعات الإسلامية سوف تتمسك بهذا الاتجاه. في جميع الأحوال فإن التقدير المستقبلي لخطاب الإسلام السياسي مرتبط أساسا بفرص النمو والانتشار والتأثير أو تقليل الخسائر والمواجهات السياسية والأمنية.

لذلك فإن المتوقع دائما من الجماعات الإسلامية في خطابها هو التأكيد على تطبيق الشريعة الإسلامية في سائر مجالات الحياة والسياسات والتشريعات، وتبني سياسة

مواجهة مع إسرائيل ومقاومة تطبيع العلاقات الرسمية والشعبية مع إسرائيل. ومرجح أنها ستواصل مواجهة التيارات الليبرالية. ولا يشير المستقبل المنظور كما يبدو في الواقع المتعين أو في الانتخابات العامة أو في استطلاعات الرأي إلى تطور أو تحول في اتجاهات المجتمعات والرأي العام لصالح الليبرالية أو العلمانية.

إن الخطاب السياسي والاجتماعي للإسلام السياسي ليس واحداً أو موحداً؛ حتى في الجماعة الواحدة، ففي جماعة الإخوان المسلمين التي تمثل الكتلة الرئيسية في الإسلام السياسي، يمكن ملاحظات عدة خطابات واتجاهات. فهناك تيار إصلاحى تقليدي، وهناك أيضاً في الجماعة نفسه اتجاه متطرف قائم على أفكار سيد قطب، وهو تيار واسع و متمكن في صفوف الإخوان المسلمين وفي حزب التحرير الإسلامي. وهناك أيضاً اتجاه يمكن تسميته بـ "الديمقراطية الإسلامية" يظهر استعداداً للعمل السياسي والعام حسب قواعد الديمقراطية ويبدى مرونة واسعة لاتجاهات المجتمعات والمؤسسات التشريعية الديمقراطية.

وبرغم أن جماعات الإسلام السياسي حصدت ثمار الانتخابات التي أجريت في الدول العربية والإسلامية، فقد أظهرت الأحداث والتحويلات الأخيرة في الدول والمجتمعات العربية صعود المجتمعات باعتبارها قوة مؤثرة ومستقلة عن الجماعات، والأحزاب والنخب السياسية والاجتماعية. وفي ظل هذه البيئة الجديدة فإن محاولة تقدير سلوك ومواقف الحركة الإسلامية تكتنفها مؤثرات كثيرة ومعقدة.

يمكن التقدير بإيجاز أن الإخوان المسلمين في الأردن وإن كانوا يتحفظون على مصطلح الديمقراطية ويفضلون مصطلح الشورى أو الحريات والحقوق، فإنهم بعامه يؤمنون عملياً بالمشاركة السياسية والانتخابات النيابية، وعلى المستوى التنظيري فإنهم يؤمنون بالمشروعية الإسلامية العليا المهيمنة على التشريعات والقوانين، ويشترطون

عدم تناقضها مع الشريعة الإسلامية، ولكنهم يلتزمون بالمراهنة على العمل السلمي والديمقراطية نفسها لتطبيق أفكارهم مبادئهم.

ستكون مواقف الإخوان المسلمين بعامة عملية وفق توازنات ومحددات من قبيل إعادة الانتخاب والواقعية مع المعاهدات والعلاقات الدولية والمؤسسات والانظمة الاقتصادية الدولية والقائمة والراسخة في الانظمة السياسية والاقتصادية والأسواق والحياة اليومية. ولكن من المتوقع أن يقدم الإخوان المسلمون على تغييرات تشريعية واجتماعية في حالة التقدير بأن قطاعا واسعا من المجتمعات يؤيد مثل هذه الخطوات وأنها لن تتصادم مع المصالح والمواقف الدولية والداخلية المؤثرة.

ستكون المعاهدات الدولية هي المجال هو الأبعد تأثرا بالصعود السياسي للحركات الإسلامية، وسوف يبقى على حاله لاعتبارات واقعية وتأثير التوازنات الدولية والمؤسسية، ولأن البنوك المسماة إسلامية تعمل بحرية إلى جانب البنوك الأخرى دون اختلاف جوهري بينها، ولكنها استطاعت أن تستوعب اتجاهات ورغبات ربما تكون أكثر انسجاما مع الآراء الدينية والفقهية لكثير من المتدينين.

يتمسك أغلب الإسلاميين بعدم جواز تولية غير المسلم الرئاسة العظمى في الدولة، والإخوان المسلمون يبدون استعدادا للقبول بذلك، وربما يغير السلفيون موقفهم أيضا مع الزمن، وبخاصة أنه قبول نظري وبعيد واقعا في ظل الأغلبية السكانية والانتخابية للمسلمين، وما عدا ذلك فمن المتوقع أن يتخذ الإسلاميون موقفا معتدلا ويقبلوا بالمساواة التامة بين المسلمين وغير المسلمين

ويتمسك أغلب الإسلاميين بعدم جواز تولي المرأة للمناصب السياسية، لكن الإخوان المسلمين مستعدون للقبول بذلك عمليا مع الحرج الاجتماعي المغطى برأي فقهي، مشكلة قضايا حقوق المرأة أنها موضع رفض مجتمعي واسع، وبسبب الطبيعة

المحافظة والمتشددة اجتماعيا للناس والمجتمعات سوف تظل الحركات الإسلامية على انسجام مع النخبين في ذلك، وإن كانت ستقبل نظريا بالمساواة التامة.

ربما تكون قضايا الحريات الفردية وحرية الفكر والاعتقاد واللباس والطعام والشراب هي الاختبار الحقيقي لديمقراطية الحركات الإسلامية وبخاصة في ظل النصوص والتطبيقات والأعراف المحافظة التحريمية لكثير من قضايا الطعام (لحم الخنزير والخمور) واللباس، والاعتقاد والإيمان أو عدمه والانتقال من دين إلى آخر، وحرية الرأي والتعبير والنقد بما يشمل الدين والعقائد، والواقع أنها تمثل قلقا أكثر من غيرها لأنها معرضة للانتهاك لأسباب بسيطة وواضحة، أولها النصوص والأفكار والتطبيقات والممارسات التحريمية المتركمة والتي كان معظمها متبعا في ظل الأنظمة السياسية جميعا حتى الموصوفة بالعلمانية والعداء للحركات الإسلامية، ولأنها مجالات لن تحظى بحماية عالمية كافية، ولن يحميها سوى الأفراد والمجتمعات نفسها، وهي حلقة ضعيفة في الأنظمة السياسية والاجتماعية التي أضعفت المجتمعات وهمشتها وحظرت (تقريبا) الفردية.

هناك قضايا متعلقة بالحقوق والحريات ستكون موضع تهديد وهي مهددة ابتداء من قبل، مثل التبنى، وتعدد الزوجات، وضرب الزوجات، ومنح الجنسية لأبناء المرأة المتزوجة من زوج يحمل جنسية أخرى، وحق المرأة بالطلاق (الخلع)، وحق المرأة بالسفر والإقامة وحدها دون إذن من أحد، وحرية العلاقة بين الرجل والمرأة، وحق غير المسلمين في التعليم الديني في مؤسسات الدولة التعليمية، وحق الممارسة الدينية لجميع الأديان والمذاهب، ولأن المجتمع يغلب عليه الموقف المحافظ والمتشدد من هذه القضايا ولأن الحكومات تتخذ موقفا متشددا فلا يمكن بالتالي الانتظار من الحركة الإسلامية أن تأخذ موقفا متقدما على العلمانيين والنخب الحاكمة والسياسية من غير الإسلاميين.

٦. الخاتمة ونتائج البحث

تعتمد هذه الدراسة على سؤالين أساسيين؛ هل سيزيد أو ينقص حضور الإسلام السياسي بعد حرب غزة والثورة السورية؟ ما النتائج المترتبة على الإجابات المحتملة للسؤال السابق على صعيد علاقة الإسلام السياسي بالسلطة السياسية والمجتمع والمكونات السياسية والاجتماعية في الأردن؟ ترجح الدراسة أن شعبية الإسلام السياسي سوف تزيد في المستقبل القريب، وسوف تكتسب الجماعات والاتجاهات الإسلامية زخماً سياسياً وشعبياً، لكن الخطاب الديني والسياسي لجماعات واتجاهات الإسلام السياسي لن يتأثر بالأحداث المحيطة في فلسطين وسوريا إلا بقدر التحولات والاتجاهات في موازين القوى والعلاقات بين السلطة السياسية والإسلام السياسي أو حسب اتجاهات المجتمعات والرأي العام والناخبين.

لكن يرجح أن البيئة الإقليمية المتشكلة بفعل حرب غزة وصعود هيئة تحرير الشام في سوريا وما تستتبعه من مواقف دولية وإقليمية سوف تؤثر على اتجاهات السلطة السياسية وتؤدي دوراً مهماً في إعادة تشكيل الحسابات السياسية للدولة الأردنية.

حسب النظرية الواقعية تؤدي الصراعات الإقليمية إلى تغييرات في توزيع القوة، ما ينعكس على السياسة الداخلية للدول المجاورة. وتُعتبر حرب غزة اختباراً لقدرة الحركات الإسلامية في الأردن على إعادة تعبئة الجماهير وكسب الشرعية السياسية، بينما تحاول الدولة موازنة موقفها للحفاظ على الاستقرار. ومن الواضح أن الحرب في غزة أثرت كثيراً على الرأي العام الأردني، وساهمت في زيادة شعبية الحركات الإسلامية، وخاصة التيارات المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين، والتي تقدم نفسها كمدافع رئيسي عن القضية الفلسطينية. (Roy, 2016)

تجد السلطة السياسية في الأردن نفسها في حالة توازن دقيق ومتناقض بين تأييد القضية الفلسطينية وبين الحفاظ على علاقتها مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية،

وهو ما قد يدفعها إلى تبني سياسات أكثر تشددًا تجاه الإسلاميين للحد من تأثيرهم السياسي. (Gerges, 2018)

تشير مجريات الأحداث والاتجاهات السياسية والعامة في سوريا إلى أن القيادة السياسية السورية الجديدة تنأى بنفسها عن التأثير الأيديولوجي على الجماعات الإسلامية في الدول العربية، ويرجح أنها تتخلى عن أيديولوجيتها السابقة التي عرفت بها، وأنها تتخذ نهجا سياسيا وأيديولوجيا جديدا هو أقرب ما يكون إلى حزب العدالة والتنمية في تركيا. ولذلك تستبعد الدراسة أن يكون لسوريا في مرحلتها الجديدة التي بدأتها منذ ٨ كانون أول ديسمبر ٢٠٢٢ أن دور أيديولوجي جهادي أو دعوي خارجي، لكن يرجح أنها إذا نجحت سياسيا واقتصاديا أن تكون نموذجا يحتذى لدى الجماعات الإسلامية السياسية، كما حدث في التجربة التركية في ظل حزب العدالة والتنمية.

وفقا لنظرية الاختيار العقلاني ترجح الدراسة أن تعيد السلطة السياسية في الأردن حساباتها للمكاسب والمخاسر في تعاملها مع الحركات الإسلامية. فقد تتخذ تدابير أمنية وسياسية للحد من تصاعد تأثيرها، أو تحسبا لعمليات عنيفة وخاصة مخططات العبور وتهريب السلاح من الأردن إلى فلسطين المحتلة. ومن المؤكد أن تواصل تشديد الرقابة على التمويلات الخارجية للجماعات الإسلامية، وربما تدعم الدولة التيارات الإسلامية المؤيدة لها، مثل الصوفية أو التيارات السلفية غير السياسية، لكنها إجمالا وكما تظهر تجربتها التاريخية سوف تسعى في احتواء مرن للجماعات الإسلامية يسمح لها بالمشاركة السياسية مقابل الالتزام بعدم تحدي السلطة أو الارتباط أو التنسيق مع الجماعات الجهادية، وسوف تواصل كما هي سياستها التاريخية منع وصول أحد أو مجموعات من الإسلام السياسي إلى مؤسسات الدولة المهمة والحساسة (الجيش والأمن والقضاء) أو التوجيهية والإرشادية والإعلامية.

سوف يكون التحدي الأساسي بالنسبة للسلطة السياسية في تدابيرها الأمنية والسياسية هو العلاقة بين الإخوان المسلمين وحركة حماس، ففي الوقت الذي لا تسعى السلطة إلى مواجهة مباشرة أو سياسية مع حماس، فإنها تحرص ألا تستخدم حماس جماعات الإسلام السياسي لأجل أعمال أو مخططات تهدد معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية أو تستخدم الأراضي والحدود الأردنية لأجل تمرير المال والسلاح إلى فلسطين.

المراجع

1. Axelrod, R. (1984). *The Evolution of Cooperation*. Basic Books.
2. Becker, G. S. (1976). *The Economic Approach to Human Behavior*. University of Chicago Press.
3. Downs, A. (1957). *An Economic Theory of Democracy*. Harper and Row.
4. Geddes, B. (1999). "What Do We Know About Democratization After Twenty Years?" *Annual Review of Political Science*, 2, 115-144.
5. Gerges, F. (2018). *Making the Arab World: Nasser, Qutb, and the Clash That Shaped the Middle East*. Princeton University Press.
6. Gharaibeh, I. (2021). *Min al-Da'wa ilā al-Siyāsa: al-Ikhwān al-Muslimūn fī al-Urdun: Tārīkhuhum wa Afkāruhum*. Markaz al-Dirāsāt al-Istrātījiyya – al-Jāmi'a al-Urduniyya.
7. Gharaibeh, I. (2025). *Ba'da an Taskut al-Madāfi'*. *Majallat Ibn Rushd lil-Dirāsāt al-Ijtimā'iyya wa al-Insāniyya*, 2(4).
8. Gilpin, R. (1981). *War and Change in World Politics*. Cambridge University Press.
9. Hamid, S. (2014). *Temptations of Power: Islamists and Illiberal Democracy in a New Middle East*. Oxford University Press.

10. Istiqlāl Rāy li-Markaz al-Dirāsāt al-Istrātījiyya fī al-Jāmi‘a al-Urduniyya. (2025, January 13).
11. Kahneman, D., & Tversky, A. (1979). "Prospect Theory: An Analysis of Decision under Risk." *Econometrica*, 47(2), 263-291.
12. Keohane, R. O., & Nye, J. S. (1977). *Power and Interdependence: World Politics in Transition*. Little, Brown.
13. Khurma, Merrissa. *Syria in Transition and Implications for Jordan*. Washington: Wilson Center, 6 Jan 2025.
14. Lister, C. (2021). *The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency*. Oxford University Press.
15. Mearsheimer, J. J. (2001). *The Tragedy of Great Power Politics*. W.W. Norton.
16. Mearsheimer, J. J. (2021). *The Great Delusion: Liberal Dreams and International Realities*. Yale University Press.
17. Morgenthau, H. J. (1948). *Politics Among Nations: The Struggle for Power and Peace*. Knopf.
18. Riker, W. H. (1962). *The Theory of Political Coalitions*. Yale University Press.
19. Roy, O. (2016). *Islam and the West: The Limits of Integration*. Columbia University Press.

20. Schelling, T. C. (1960). *The Strategy of Conflict*. Harvard University Press.
21. Schwartz, P. (1996). *The Art of the Long View: Planning for the Future in an Uncertain World*. Doubleday.
22. Simon, H. A. (1957). *Models of Man: Social and Rational*. Wiley.
23. Thaler, R. H., & Sunstein, C. R. (2008). *Nudge: Improving Decisions About Health, Wealth, and Happiness*. Yale University Press.
24. Von Neumann, J., & Morgenstern, O. (1944). *Theory of Games and Economic Behavior*. Princeton University Press.
25. Waltz, K. N. (1979). *Theory of International Politics*. McGraw-Hill.
26. Wendt, A. (1999). *Social Theory of International Politics*. Cambridge University Press.
27. Zelin, A. Y. (2020). *The Others: Foreign Fighters in Syria and Iraq*. Columbia University Press.

دراسات

قافلة حجاج شرقي الأردن كما رآها الرحالة
خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي

المختبر

جمعان عبد الله الشمراني

Received: 1 / 6 / 2025

Revised: 20 / 6 / 2025

Accepted: 25 / 6 / 2025

Published: 1 / 8 / 2025



د. جمعان عبد الله الشهراني

أستاذ مساعد سابقاً - جامعة بيشة - السعودية

مؤقت في إدارة وسياسات تطوير المناهج - البحرين

aim1921@gmail.com

قافلة حجاج شرقي الأردن كما رآها الرحالة

خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي

مقدمة

لم يكن الحج في الدولة العثمانية مجرد قافلة عادية تحمل الحجاج من دمشق الى الحج وحسب، وانما تشكل أيضاً موضوعاً تكمن أهميته في الكشف عن النواحي الدينية والاقتصادية والاجتماعية التي أثرت في علاقة الحاكم بالمحكوم، وفي مستوى السكان على اختلاف أدوارهم ومراكزهم السياسية وفعالياتهم الاقتصادية، ومن هذا الطرح يبرز التساؤل: لماذا انصب ذلك الاهتمام من الدولة على تنظيم قافلة الحج الشامي وحمائتها واطهارها بذلك المظهر المهيب، الذي لا يخلو من الطابع العسكري بانتقالها من دمشق الى المدينة ومكة؟ الأمر الذي يدعو الى الكشف عن مدى هذا الاهتمام ومساحة ذلك التأثير للقافلة بمرورها بشكل طولاني من الشمال الى الجنوب في شرقي الأردن في الفترة العثمانية. حيث أدركت الدولة العثمانية أهمية علاقتها مع العرب وشرافة مكة، واطهار الطابع الإسلامي الذي اقتضى منها تأمين سلامة قوافل الحج الأربعة: الشامية، والمصرية والعراقية واليمنية.

أهمية الدراسة ومكوناتها:

ومن هنا تأتي أهمية دراسة الحج الشامي (وفيه حجاج شرق الأردن) والإطارين الجغرافي والسكاني لقافلة الحج وظروف تبديل قيادة القافلة، مع التعرض للاستعداد للقافلة في تنظيمها ومواكبها وتمويلها من خلال احتفالاتها المهيبة المظهر.

ولعل من المهم فهم الآثار العامة لقافلة الحج في شرقي الأردن وخاصة في التقسيمات الادارية العثمانية، ومظاهر النشاط الاقتصادي في المنطقة والذي عززته القوافل التجارية من الخليل والقدس وغزة، ودور البدو في هذا المجال، وما كانت تدره الأرض من خيرات مثلت سلعاً تجارية مهمة في الاستيراد والتصدير. وعلى ذلك تتكون هذه الدراسة من:

- مدخل فيه عرض تحليلي لظاهرة الحج من خلال حقول المعرفة الموجودة في كتابات الرحالة التي اعتمدت عليها الدراسة من حيث أهمية معلوماتها التي أفادت منها.
- شرقي الأردن في التقسيمات الإدارية العثمانية من عام ١٥١٦ – ١٩١٨ م.
- خط القافلة في شرقي الأردن خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي.
- أهم الطرق التي كانت سلكها حجاج شرقي الأردن بين الحرمين الشريفين هي:
- الدور الذي لعبه البدو في نجاح القافلة أو فشلها
- مردود القافلة على المنطقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية

- عرض تحليلي لظاهرة الحج من خلال حقول المعرفة الموجودة في كتابات الرحالة التي اعتمدت عليها الدراسة من حيث أهمية معلوماتها التي أفادت منها:

تبين من خلال كتب الرحلات أنه كان هناك اهتمام كبير بالحجاز من جانب الدولة العثمانية خلال القرن ١٢هـ/١٨م، وعدد من السمات التي حافظ عليها كل السلاطين العثمانيين؛ فقد كان الحجاز وما يحويه من أماكن إسلامية مقدسة تابعا للدولة العثمانية، مما أضفى عليه مركزا دينيا مرموقا في جميع أرجاء العالم الإسلامي. وقد أعفت الدولة العثمانية منطقة الحجاز من أداء الضرائب، بل أوقفوا خراج على الحرمين الشريفين. (١)

ولم يكن الاهتمام وقفا على الأماكن، بل تعدّاها إلى المواطن، فقد أعفي سكان الحجاز من التجنيد، وأبقت الدولة على الحكم الذاتي المتمثل في نظام الشرافة؛ وكل ما كانت تفعله أن ترسل فرمانا تحدد فيه إمكانات واختصاصات وواجبات الشريف الجديد عند تعيينه، وتوصيته ببعض الوصايا التي كانت تنصب في أغلبها على حماية الحجاج في أموالهم وأرواحهم، وأن يقسم بالعدل الصرة الهمايونية بين الأهالي (٢).

ويفهم من رحالة القرن ١٢هـ/١٨م أن الشيء الذي أولته الدولة العثمانية جل اهتمامها، هو قوافل الحج والإشراف المباشر والفعلي على الحج، واعتبرت هذا العمل واجبا يقع على عاتقها، باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام، وأن عليها تيسير الحج أمام الراغبين فيه، فأنشأت قوافل الحج، واهتمت بالطرق؛ فأقامت الحصون، وحفرت الآبار على طول طرق الحج، وشجعت على إقامة الخانات، وأقامت المخافر، وكانت تشرف على قوافل الحج الرئيسية التي كانت تخرج من أنحاء الدولة كافة في مواعيد محددة كل عام، وتضع لها قوة تحرسها، يقودها أحد كبار العسكريين، الذي كان يسمى "سَرْدَارُ الحج". وكان على رأس كل قافلة أمير للحج، وكثيرا ما كان أمير الحج يتولى قيادة الجيش المرافق للقافلة، وخاصة قافلة الحج الشامي (٣).

وبوصف الرحالة لقافلة الحج الشامي نجد أنها عدت من أهم قوافل الحج في القرن ١٢هـ/١٨م وكانت تضم حجاج بلاد الشام -وشرقي الأردن- والجزيرة وأذربيجان والقوقاز والقرم والأناضول والبلقان، وحجاج إستانبول نفسها، وكان عددها يتراوح ما

بين ثلاثين وخمسين ألفاً . وقد كان السلطان العثماني يشرف بنفسه على ترتيب وإعداد هذه القافلة وخروجها من مدينة إستانبول . وكانت القافلة تقطع الطريق التجاري حتى تصل إلى دمشق، ومنها إلى أراضي الموابيين القدماء، ومن بلاد معن عبر صحراء مزريب إلى مدائن صالح حتى تصل القافلة إلى المدينة المنورة^(٤).

وكان السلطان العثماني يصدر أوامره إلى الولاة لتسهيل مهمة مرور القافلة، وأن يتولوا مهام حراستها حتى تصل إلى حدود الولاية المجاورة، فيتولى الوالي الجديد استقبالها وتأمين مسيرتها عبر ولايته، حتى تصل سالمة إلى نهاية ولايته وهكذا.

وقد كانت القافلة وعلى رأسها أمير الحج تعبر هذه الولايات وسط حفاوة واهتمام بالغ، ويتسلم أمير الحج بصك شرعي أموال الأوقاف والهدايا المرسلة إلى أهالي الحرمين الشريفين، وإلى الحرمين الشريفين ذاتهما، من بسط وتحف ومصابيح وشمعانات ومواد غذائية وما شابه ذلك^(٥).

• شرقي الأردن في التقسيمات الإدارية العثمانية من عام ١٥١٦ - ١٩١٨ م

خضع الأردن للحكم العثماني من ١٥١٦ - ١٩١٨ م أي أربعة قرون . فقد استولى العثمانيون على إيران وشمال العراق بعد انتصارهم على الصفويين في معركة جالديران عام ١٥١٤ م، وانتصروا على المماليك في معركة "مرج دابق" عام ١٥١٦ م فسيطر العثمانيون على بلاد الشام بقيادة السلطان سليم الأول، وقتل السلطان المملوكي قانصوه الغوري وأسر الخليفة العباسي الخامس والخمسين. وبعد معركة "الريدانية" عام ١٥١٧ م دخل العثمانيون مصر فخضع المشرق العربي للعثمانيين، ووضعت البلاد العربية تحت الحكم العثماني المباشر وقسمت الدولة العثمانية بلاد الشام إلى ثلاث سناجق أو ولايات هي؛ دمشق ، وحلب ، وطرابلس . وكانت شرقي الأردن تتبع لدمشق وقد حكم العثمانيون شرقي الأردن اسمياً، فلم تهتم الدولة إلا بقافلة الحج الشامي . وقد حاول زعيم منطقة لواء عجلون الذي شكل عام ١٥١٧ م الأمير البدوي

محمد سعيد الغزاوي حاول مقاومة السيطرة العثمانية على البلاد وتمرد عليها، وقد تمكنت الدولة من إحباط تمرد الغزاوي إلا أنها أبقت على حكم عائلة الغزاوي في منطقة عجلون . وقد اتبعت الدولة سنجق عجلون مباشرة لاستانبول منذ عام ١٥٩١م. في العام الذي استبدلت فيه السناجق بالأيالات فكانت شرقي الأردن تتبع لآيالة شام شريف ، وفي القرن السابع عشر تنازعت عجلون والكرك الأمير فخر الدين المعني واحمد باشا الحافظ والي الشام ، واثنين من آل الغزاوي هما الأخوين حمدان بن قانصوه الغزاوي وشقيقه بشير الغزاوي ، فعينت الحكومة العثمانية الأمير البدوي فروخ بن عبد الله عليها. أما في القرن الثامن عشر فقد خضعت اربد وعجلون للإمارة الزيدانية في قرية "تنبه" من عام ١٧٦٠ - ١٧٧٥م تحت حكم احمد ظاهر عمر الزيداني ، ثم سيطر على البلاد احمد باشا الجزار حاكم عكا من ١٧٧٦ - ١٨٠٤م^(٦) ونالت شرقي الأردن اهتمام السلاطين العثمانيين، وكذلك القافلة الشامية، حيث شكّل عجز أي قافلة حج عن الوصول إلى مكة المكرمة والعودة بأمان مسؤولية سياسية ودينية للسلطان العثماني، والشيء ذاته يعمم على الهجمات البدوية وحالات العصيان في الأماكن المقدسة، وبمعنى آخر كانت هذه الحوادث تنذر بنشوب أزمة شرعية، فقد كان إعمار المقدسات ورعايتها يعزز من الشرعية^(٧).

وأصبحت الحكومة العثمانية تكلف بعض حكام الصناجق في ولاية دمشق مثل أمراء عجلون أو غزة أو اللجون أو القدس بأمرة الحج وتحمله مسؤولية توفير الإمدادات الغذائية والدواب وتوفير الأمن والحماية لقافلة حجاج شرق الأردن وقافلة الشام.

• خط القافلة في شرقي الأردن خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي

كان حجاج شرقي الأردن يسировون مع قافلة الحج الشامي، وكانت قافلة الشام ومعها حجاج شرقي الأردن تتحرك في أغلب المواسم في الخامس عشر من شوال تحت رئاسة أمير الحج، وكان يتولاها في العادة والي سوريا. وقبل التحرك يجري احتفال

كبير ينظمه قائد الجيش الخامس، وبعد القيام بالتشريفات المعهودة في مثل هذه الأمور تخرج القافلة من الشام من "قبة الحاج"، التي كانت تعد نقطة البدء للقافلة، ومنها إلى الكسوة حيث ينضم إليها الحجاج الذين تجمعوا في "مزريب"، ثم تتجه مجتمعة إلى المراحل التالية^(٨).

ومن المناطق التي تمر بها قافلة حجاج شرقي الأردن عبر هذا الطريق منتزه مزريب في حوران، وبجوار عين مزريب أمر السلطان سليم الأول ببناء قلعة - مازالت أطلالها باقية حتى الآن - لحماية قافلة الحج، ثم الزرقاء فالبلقاء، ثم القطرنة حيث القلعة التي شيدها سليمان القانوني بجوار البركة التي أمر بإعادة تطهيرها بعد أن كانت قد تساوت مع الأرض. ومن القطرنة تتابع القافلة سيرها حتى الكرك، ثم عنيزة، فقلعة معان. وهذه المنطقة تسجل كتب التاريخ أنها كانت مقر إقامة بني أمية، وأمر السلطان سليمان القانوني بإقامة قلعة وحفر بئر فيها. ومن معان إلى ظهر العقبة نحو "ذات الحج"، وفي ذات الحج أو حجر هذه أمر القانوني بإقامة قلعة لحماية القوافل من غارات البدو والأعراب، وتشتهر بتمورها وثمارها الجيدة. ومنها إلى "قاع البسيط" فتبوك ثم أخضر التي تقع في منتصف المسافة بين مكة والشام.^(٩)

وقد كلف السلطان سليمان القانوني عند جلوسه على العرش سنة ٩٢٦هـ - ١٥٢٠م واليه على الشام مصطفى باشا ببناء قلعة أخضر، وبعدها تصل القوافل إلى بركة المعظم، ثم جبل الطاق الذي عقرت فيه ناقه النبي صالح عليه وعلى نبينا - الصلاة والسلام - ثم مبرك الناقة، ثم قرى صالح، ثم ديار ثمود، وهي تلك المنازل التي نحتت في الجبال، وفيها مسجد النبي صالح - عليه السلام -، ومنها إلى العلا التي تبعد عن المدينة المنورة بست مراحل، وهي من ملحقات المدينة المنورة؛ وأمر السلطان القانوني بتجديد قلعتها وحصنها لحمايتها من غارات الأعراب. ومنها إلى شعب النعام ومنزل فحلتنين، ثم وادي القرى الذي تكثر فيه المياه والغابات، وأبيار علي - رضى الله عنه -، وفيها يحرم الحبيج جميعاً، ومنها تمر القوافل بقبور الشهداء، ثم الجديدة وقاع

البرو وبلاد طارق وعقبة السويق؛ ومنها إلى عسفان حيث الآبار النبوية المأثورة، وبعدها تدخل القوافل إلى مكة المكرمة في أوائل ذي الحجة من كل عام، بعد أن تكون قد قطعت المسافة من المدينة في مائة وست ساعات.^(١٠)

لقد كانت منطقة عقبة الحجاز إحدى محطات طريق الحج الشامي التي كان يعبرها الحجاج إلى الديار المقدسة؛ إذ كان هناك عدة طرق للوصول إلى الأماكن المقدسة من الشام ومنها الطريق الداخلي المعروف بـ "التبوكي" وهذا الطريق يتبع الطريق التجاري التقليدي بين بلاد الشام والحجاز وتشكل مدينة تبوك إحدى منازل هذا الطريق الرئيسية^(١١).

• أهم الطرق التي سلكها حجاج شرقي الأردن بين الحرمين الشريفين هي:

سلك حجاج شرقي الأردن للوصول إلى مكة عدة طرق صحبة قافلة الحج الشامي، ومنها الطريق السلطاني: أي الطريق الرئيسي، وكان على حجاج القافلة التي تسلك هذا الطريق أن يتجمعوا عند وادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة للاتجاه إلى المدينة المنورة. ويتزود الحجاج فيها بما يلزمهم، ثم يتجهون إلى بئر عسفان، وتسلك طريقها حتى تصل إلى رابغ التي تفرق عندها الطرق، وإن كان أكثرها استعمالاً هو الطريق السلطاني^(١٢)..

كان الحمالون هم الذين يحددون أماكن التوقف، وكانوا يفضلون تلك التي تضم آباراً للتزود بالمياه. وتعودت القوافل أن تدخل المدينة في اليوم السادس من خروجها من رابغ. وهذا الطريق السلطاني كان هو الطريق المعتاد بالنسبة لقوافل الحج وقوافل المحامل. وبالرغم من قلة مياهه فإن مطالعه ومنازله الوعرة كانت شبه معدومة، ولكن كانت تبعد عنه بعض الشيء سلاسل جبلية مكنت بعض عربان البدو من مهاجمة هذه القوافل، مما دفع قوافل الحجاج المسلمين ومواكب التجار إلى أن يسلكوا الطرق المسماة بالطرق الفرعية لعمرانها وعدم خطورتها^(١٣).

كذلك سلك حجاج شرقي الأردن الطريق الفرعي: وهو الطريق المؤدي من رابع إلى المدينة المنورة عن طريق "بريدة". والذين يودون السفر عن طريق "الطريق الفرعي" يتجمعون عند "المرحلة"، التي تسمى آنذاك "بئر رضوان"، وهي تبعد مسيرة ثنتي عشرة ساعة من رابع، ويتزودون بالمياه والمؤن، ثم يسلكون الطريق مارين بقرية "أبي ضياعة" و"ريان" و"أم العيال" و"مضيق" و"صمد"، ثم تمر القوافل من المنطقة المنخفضة التي تسمى الغدير التي تتجمع فيها مياه الأمطار فتحولها إلى ما يشبه البحيرة.

علاوة على الطريق الفرعي الثاني الذي سار فيه حجاج شرقي الأردن، أي الطريق المؤدي إلى المدينة المنورة هو طريق غابر، وبالرغم من أن المسافة عبر هذا الطريق كانت تقطع في خمسة أيام من مكة إلى المدينة، فإنه طريق جبلي، كثير المطالع والمنازل، مما جعله صعب المنال بالنسبة للجمال التي غالبا ما تكون محملة بأشياء ثقيلة، وتجعل قطع الطريق مرهقا، كما أن كثرة الجبال تجعله مرتعا لقطاع الطرق والأشقياء، مما يدفع الجمالة إلى الابتعاد عنه وعدم سلوكه، إلا أن قصره بالنسبة للطريق السلطاني والطريق الفرعي تجعل منه معبرا مطروقا من قبل المشاة، أو من يمتطون صهوة الخيول، أو من قبل فرسان الخيالة والهجانة التابعين لقوة الدولة العثمانية، والمنوط بها حفظ الأمن وحماية مكة المكرمة والمدينة المنورة. وتورد بعض كتب التاريخ أن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد سلك هذا الطريق عند هجرته الميمونة إلى المدينة المنورة^(١٤).

وهناك أيضا الطريق الشرقي الذي يربط المدينة المنورة ومكة المكرمة، وهو طريق كبير ومتسع إلى حد ما، وكثيرا ما تسلكه القوافل المترددة بين المدينتين المقدستين، وهو الطريق المفضل عند قوافل المحمل، والقوافل التي كانت تحمل الصرة، وخاصة في المواسم التي كانت تشتد فيها الحرارة، وتزداد فيها حملات الخارجين على القانون، وتسلطهم على الطرق الأخرى^(١٥).

وعرف بهذا الاسم لوقوعه على الطرف الشرقي من بلاد الحجاز، وتصل القوافل التي تقطع هذا الطريق إلى مرحلة بئر الليمون بعد مسيرة أربع عشرة ساعة، ثم بئر برود الذي تفضل القوافل الاستراحة عنده، والتزود من مياهه العذبة. وبعد المرور من بضع آبار ومراحل أخرى تصل القوافل إلى "بركة زبيدة"، وهي البركة التي أمرت السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد بتشييدها لتجمع فيها مياه السيول في هذه المنطقة. (١٦)

ومن الطرق الفرعية التي تسلكها القوافل بين المدينة المنورة ومكة المكرمة أيضا طريق ينبع البحر. فينبع البحر تعد مرفأ المدينة المنورة.

والقوافل المتجهة إلى البلدة الطيبة تصل أولا إلى "بئر سعيد" ثم قرية "صفراء"، وعند هذه القرية يلتقي طريق ينبع البحر مع الطريق السلطاني؛ ومن ينبع حتى طيبة الطيبة خمس مراحل سيرا بقوافل الجمال (١٧).

والمعروف أن المرحلة هي مسيرة يوم واحد بالجمال، أي مسيرة سبعة وعشرين ميلا. وتمر القوافل التي تسلك هذا الطريق بقرية بدر المباركة، ويقرأون الفاتحة على أرواح شهداء بدر الكبرى، وهذا الطريق سهل ومستو مما يشجع القوافل على عبوره. (١٨)

• الدور الذي لعبه البدو في نجاح قافلة حجاج شرقي الأردن أو فشلها.

وسيطرت القبائل البدوية على شرقي الأردن في القرن التاسع عشر، وأصبحت شرقي الأردن مرتعا للقبائل البدوية من نجد والحجاز وبادية الشام والعراق وصحراء سيناء. كقبيلة بني صخر، وعباد والسرطان وبني حسن والعدوان والبلقاوية والعجيلي والسردية. فكثيرا ما قدمت عشائر عنزة وشمر من العراق، والشرارات من الحجاز، وكانت عنزة تؤجر جمالها للحجاج من سورية والأردن (١٩). واستقرت بعض العشائر في منطقة البلقاء مثل قبيلة عباد التي كانت في حرب دائمة مع بني صخر حتى منتصف القرن التاسع عشر ثم تحالفت بني صخر وعباد وأصبحوا في حرب دائمة مع

العدوان وأهل السلط وعشائر البلقاوية عامة. كما استقرت عشيرة العدوان التي دخلت في صراع مع بني صخر وحلفائهم عباد، ودخلت العدوان في صراع مع الرولة من عنزة، ومع عشيرة الغنيمات في مادبا، كما استقرت عشائر العمرو والحمايدة والترايين حول الكرك، وكانت قبائل بني حميدة والحجايا والسليط والحويطات تحيط بالطيفة. إذ كان نفوذ الحويطات يمتد من الكرك حتى المويلح في الحجاز^(٢٠). وكانت الحويطات تأخذ إتاوة من محمل الحج الشامي والمصري، وتقوم بتأجير إبلها إلى الحجاج المصريين، أما الاحيوات والعلاويين والعمران استقروا في العقبة ووادي عربة. وكانت هذه القبائل خاصة بني صخر تأخذ الخاوة من قرى جبل عجلون^(٢١).

لقد بنيت الخانات والقلاع على طول طريق الحج الشامي من قبل السلاطين المسلمين لتوفير الأمن في المنطقة ولحماية قوافل الحج والتجارة من غزوات البدو، كما هدفت الحكومة العثمانية من بناء هذه القلاع وإعادة استخدام المعمر منها إلى تشجيع البدو الموجودين في المناطق المجاورة لهذه الخانات على الاستقرار، الأمر الذي أدى إلى توفير مزيد من الأمن لهذه القوافل⁽²²⁾.

ومن جهة أخرى تشير المصادر التاريخية-أحيانًا- إلى خلافات بين السلطة العثمانية والقبائل البدوية التي كانت تسكن شرق الأردن خصوصًا خلال الفترة ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر؛ حيث كان يقوم بعض أفراد العائلات البدوية بالإغارة على القوافل المتجهة إلى الجزيرة العربية ونتيجة لذلك، فقد سعى السلاطين العثمانيون إلى حماية قوافلهم من غزوات البدو، واتخذوا إجراءات وقائية ودفاعية وتمثل ذلك في تطوير نظام من التحصينات على طول طريق الحج الشامي، كالقلاع التي بناها السلطان سليمان القانوني، وهي قلعة معان والقطرانة وذات الحج وتبوك كما بنيت قلعة عنيزة - بجنوب الأردن في عام ١٥٧٠ م وبنيت قلعة الحسا من قبل السلطان مصطفى الثالث (١١٧١ - ١٧٧٣ م) كما بنيت قلعة فصوغة في منطقة عقبة الحجاز^(٢٣).

• مردود القافلة على المنطقة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية

شكل حجاج شرقي الأردن نفس ما شكلته قافلة الحج الشامي إبان العهد العثماني^(٢٤)، وعدت عاملاً رئيسياً من عوامل ازدهار المنطقة ونموها من الناحية الاقتصادية، وتطور بنائها الديمغرافي، إذ إن تجمع أعداد كبيرة من الحجاج سنوياً في محيط المدينة، كان له آثار هامة، ليس فقط بما يحملونه معهم من بضائع ومنتجات، وتحول تجمعهم إلى مجرد سوق موسمي، بل أن أهمية ذلك كانت تتعاظم مع استقرار عدد من الجماعات الإسلامية في الأحياء الخارجية للمدينة على امتداد الطريق المؤدية إلى جنوب دمشق^(٢٥)، ويمكن التأكيد على ذلك من خلال ما يورده ابن كنان الصالحي (ت ١١٥٣هـ / ١٧٤٠م)، بشأن استقرار عدد كبير من الحجاج الأوزبكستانيين في دمشق سنة ١١١٨هـ / ١٧٠٦م^(٢٦).

لم يكن تأثير القافلة مقصوراً على الناحية السكانية فقط، بل أن تجمع الحجاج من أقاليم شتى، كان يعد سبباً رئيساً في انتعاش أسواق وساحات أخذت تتحول، مع مرور الوقت وفي كل عام، إلى أسواق موسمية كبرى^(٢٧)، ويشير السجل الشرعي إلى أن عدد من الحجاج كانوا يحملون معهم منتجات مختلفة من بلادهم، حتى إذا وصلوا دمشق نهضوا ببيعها، أو عرض جزء منها في أسواق المدينة^(٢٨).

ويضاف إلى ذلك، ما كانت توفره القافلة لعدد من أبناء المدينة، من فرص عمل متعددة في خدمة القافلة. إذ إن هناك عدداً من أبناء المدينة ممن ينتظرون موسم القافلة لمرافقتها والقيام بخدماتها للحجاج تحت مظلة متعهدي القافلة، ومن هؤلاء من يعمل في نقل البضائع، وتجهيز الخيول، وسقاية الحجاج^(٢٩)، وشد البضائع^(٣٠) وطهي الطعام^(٣١)، وعكم الجمال^(٣٢)، ومراقبة الخيام، وغيرها من الحرف^(٣٣). وقد ارتبطت هذه الطوائف مع بعضها؛ نتيجة لاعتمادها على تدرج الخدمة، وتسلسلها، كما أن مقدار الربح والاستثمار كان مرتبط بطبيعة الحجاج، ومستواهم الاقتصادي، وضمان أمن القافلة وسلامتها^(٣٤).

الخاتمة:

بدا واضحا من خلال الدراسة أن الازدهار التجاري لشرقي الأردن خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ارتبط بعاملين ذاتيين هما: تطور المنتجات الزراعية في جنوب الشام وتدفقها إلى دمشق، وهذا عامل محلي، وعامل آخر وهو إقليمي، يتمثل بنمو المبادلات التجارية بين شرقي الأردن والأطراف ودمشق وقد كانت قافلة الحج إحدى أركان هذه التجارة.

ساعدت ظروف المنطقة في القرن ١٢هـ/ ١٨م في تحول الطريق التجاري باتجاه معاكس لطريق حلب أصفهان، وهو طريق مكة - دمشق، كما يمكن إضافة لتلك العوامل الإقليمية وهي اعتبار دمشق نقطة التقاء بين ساحل المتوسط ومراكزه التجارية من جهة، ومحل انتهاء سير القوافل التجارية القادمة من البادية الشرقية والمناطق الجنوبية من جهة أخرى.

ثمة دوراً مهماً إزاء نمو الاقتصاد لشرقي الأردن، والذي ساهم في تحقيق نمو عمراني ملحوظ للضواحي الشمالية الشرقية، والجنوبية الغربية، وهي في خط نموها مرتبطة بالطريق المؤدي إلى شمال حوران وفلسطين والحجاز، ولكن نظرة إلى خارطة الشام التي توضح توسع المدينة خلال القرن الثامن عشر الميلادي، إلى جانب تتبّع حركة المجتمع من خلال سجلات المحاكم الشرعية العائدة للأحياء الجنوبية والشمالية لدمشق، تُبيّن أن ذلك التوسع لا يمكن إسناده إلى مؤثرات غربية لها علاقة بالنشاط الاقتصادي مع أوروبا عبر جبل لبنان فقط، بل إن التزايد السكاني الذي تزامن مع تلك الفترة، ومع وجود السور المحيط بدمشق، جعل من الصعب أن يكون هناك نمو عمراني داخل السور، كما أن لقافلة الحج الشامي دوراً ملحوظاً في نمو الأجزاء الجنوبية من المدينة وازدهارها.

المراجع

(1) أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية، رحلة إلى بيت الله الحرام: إحدى رحلاته الأربع للحج عام ١١٢١هـ/١٧٠٩م، عرض وتلخيص حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٥، ٦، س ١٢ لعام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار اليمامة- الرياض.

(2) محمد المكي الناصري: الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة "تقديم وتحقيق محمد الحبيب النوحى، رسالة دبلوم الدراسات العليا، كلية الرباط ١٩٨٨ ص: ١٣٤؛ أحمد البوزيدي "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة والمدينة من خلال رحلة الحيوني في أواسط القرن ١٣ هـ ١٩م" مجلة دعوة الحق- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، العدد ٣٥٧ ذو القعدة-ذو الحجة ١٤٢١ يناير-فبراير ٢٠٠١م. ص ٤٧-٥٨

(3) محمد بن أحمد الحضيكي: طبقات الحضيكي "المطبعة العربية (الدار البيضاء) الطبعة: ١، ١٣٥٥هـ، ج ١، ص: ٨٥-٨٩

(4) محمد بن عبدالسلام بن عبدالله الناصري الدرعي المغربي، رحلته الكبرى عام ١١٩٦هـ/١٧٨١م، رحلته الصغرى عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م، عرض وتلخيص حمد الجاسر، منشورات دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(5) الزباني، الترجمانة الكبرى، في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق: عبد الكريم الفيلاي. دار المعرفة للنشر والتوزيع. الجديدة. ١٩٩١. م، ص ٥٧.

(6) انظر الأمير أحمد الدمرداشي (كان حيا ١١٧١هـ/١٧٥٧)، كتاب الدرّة المصانة، تحقيق، عبد الرحيم عبد الرحمن، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ص ٢١٢، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٥. وعبود الصباغ "مصنف" الروض الزاهر في تاريخ

ظاهر، تحقيق: محمد محافظة وعصام هزايمة، دار الكندي، للنشر، إربد، ١٩٩٩م، ص ٣٢-٣٧.

(٧) ثريا فاروقي، حجاج وسلاطين (الحج أيام العثمانيين) ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، منشورات الجمل والمركز الدولي للخدمات الثقافية، بغداد وببيروت، د.ت، ص ١٢٣.

(٨) الزباني، الرحلة، ص ٥٤؛ نزار التجديتي، الرحلة إلى شرق المتوسط، من خلال الترجمانة الكبرى، لأبي القاسم الزباني: قصة ابتلاء أم ملحمة التأهيل للكتابة؟، مجلة سمائيات، ع ٢. مارس ٢٠٠٩م.

(٩) علال الغازي، بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام - لعبد المجيد المنالي الزباني - تقديم وتحقيق، ماجستير، جامعة محمد الخامس- المغرب، ١٩٩٦م، ص ٦٦، ٢٥.

(١٠) العياشي: ماء الموائد، ص ٩٣؛ أحمد بن ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية، ص ٤٢٥؛ فؤاد الماوي، العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز من الفتح العثماني حتى الاحتلال الفرنسي، الكويت، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.، ص ٣٦..

(١١) صالح درادكة: طريق الحج الشامي، ص ١٨١.

(١٢) أحمد الرشيد: حسن الصفا والابتهاج - ص ٤٥؛ الجزيري: المصدر السابق - ج ٢ - ص ٨٣٧، ١٥٥٩ - ١٥٦٠، ١٥٦٢، ١٥٦٦، ١٥٦٨، ١٥٧١؛ العياشي: المصدر السابق - ص ٤٣ - ٤٥، ١٢٧؛ النابلسي: المصدر السابق - ص ١١٥، ٤٣٩ - ٤٤٠؛ أبو القاسم الزباني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برًا وبحرًا - ص ٢٢٩؛ أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق - ص ٤٥١، ٤٥٥ - ٤٥٨.

(١٣) المنالي الزباني: بلوغ المرام - ص ٥٤٣ - ٥٤٤، ٥٤٦؛ محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي: المصدر السابق - ص ١١٥ - ١١٦، ١١٩ - ١٤٧، ١٢٣،

١٥٥ - ١٥٦؛ محمد لبيب البتوني : المصدر السابق - ص ١٧٤ - ١٧٦، ١٨٦،
٢٤١ - ٢٤٣؛ إبراهيم رفعت : المصدر السابق - ج٢ - ص ١٤٢ - ١٤٣، ١٩٩
- ٢٠٣؛ محمد طاهر الكردي : المرجع السابق - ج٢ - ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ٢٤٥
- ٢٤٦؛ عبد الكريم كريم، المرجع السابق - ص ١٩٠؛ حليم جريس، يوسف خليل،
إجلال السباعي : المرجع السابق - ص ١٢.

(١٤) محمد بن محمد حسن شُرَّاب، المعالم الأثرية في السنة والسيرة، دمشق: دار القلم،
الدار الشامية، ١٤١١هـ، ص ٢٢٢.

(١٥) جوزيف بتس، رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة والمدينة ١٦٨٠م، ترجمة عبد
الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة)، ١٩٩٥م، ص ٦٢؛ سي-
سنوك هيرجرونجي، مكة في أواخر القرن ١٩م، ترجمة صبري محمد حسن
ط، المشروع القومي للترجمة (القاهرة) ٢٠٠٧م، ص ١٦٤؛ المراد آبادي، رفيع الدين،
الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (١٢٠١هـ / ١٧٨٩م)، ترجمة سمير عبد الحميد
إبراهيم، ط١، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة)، ٢٠٠٤م، ص ٨٠؛

(١٦) العياشي: المصدر السابق، ص ٤١، أحمد بن ناصر الدرعي: المصدر السابق،
ص ٤٥٥، محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي : رحلتنا الدرعي - ص ١١٠.

(١٧) النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٣٩؛ إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين - ج٢ -
ص ٢٠٣.

(١٨) العياشي: المصدر السابق، ص ٢٥، ١٥١، ١٦١، ١٦٣؛ أحمد بن ناصر الدرعي
: المصدر السابق- ص ١٦١، ٤٢٧.

(١٩) عبد الكريم رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، مجلة دراسات
تاريخية، العدد ٦، ذو الحجة، تشرين أول، ١٩٨٠م، ص ٥-٢٨.

(٢٠) بوكهارت، جون لويس، ترحال في الجزيرة العربية: يتضمن تاريخ مناطق الحجاز المقدسة عند المسلمين، ترجمة صبري محمد حسن، ط١، المشروع القومي للترجمة (القاهرة)، ٢٠٠٧م، ج١، ص١١، ١٠١، ١٠٥، ١٣٧.

(٢١) حول أمن القافلة وأحوال الحج، انظر: ابن كنان، الحوادث، ص. ص ٧٢، ٩٢، ١٧٢، ٢٧، حيث يذكر أحوال الحج في مطلع كل سنة من حوادثه، وعن قافلة الحج الشامي جنوب دمشق في العهد العثماني، راجع دراسة إبراهيم الشرعة، "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين"، مجلة دراسات، العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجامعة الأردنية، المجلد، ٢٩، العدد، ٢٠٠٢م. ص٣١٩-٣٤٧.

(٢٢) نوفان السواريه؛ محمد الطراونة: منطقة الكرك والشوبك خلال الفترة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م - ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٥ م: دراسة في أوضاعها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية. "دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٢٩، العدد ١ / ٢٠٠٢، ص ١٤٤-١٤٥

(٢٣) الغزي، الكواكب السائرة، مجلد ٣، ص ١٤٠؛ محمد سالم الطراونة، تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٢، ص١٨٥.

(٢٤) عن أهمية قافلة الحج، انظر: ابن كنان الصالحي، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)، المواكب الإسلامية والممالك الشامية، تحقيق: حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق، ج١، ص١٣٢

(٢٥) ابن كنان، الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية، ط١، تحقيق: أكرم العلبي، دار الطباعة، دمشق، ١٩٩٤م، ص٣٠

(٢٦) ابن كنان، الحوادث، ص١١٤، ١١٥

(٢٧) حول خط سير القافلة وتطورها من العصر المملوكي وحتى فترة الدراسة، انظر: ابن فضل الله العمري، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤١م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، معهد تاريخ العلوم الإسلامية، برلين، السفر الثاني، ١٩٢٨ ص ٣٦. وقارن مع: ابن كَنّان، المواكب، ج ٢، ص ١١٢. ايرينا سميلنسكايا، البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ترجمة: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٧٩؛ وجان سوفاجيه، دمشق الشام لمحة تاريخية، ترجمة: فؤاد البستاني، بيروت، ١٩٣٦، ١٩٦٥م، ص ١٠٢.

(٢٨) سجل ٣٧ (مخلفات) حجه ١٩٢، ص ٧٣، ١٤ رجب ١١٣٢هـ / ١٧١٩م. سجل ٦٨، (مخلفات) حجة ٥٤، ص ٦٢، ٧ صفر ١١٢٤هـ / ١٧٣١م.

(٢٩) محمد سعيد القاسمي (ت ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م)، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق وإضافة: ظافر القاسمي، دمشق، دار طلاس، ج ١، ص ١١٤، ١٥٦، ١٨٥؛ ج ٢، ص ٣١٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٦٥

(٣١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٨٠

(٣٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٩، والعكام يستخدم بأجر معلوم ليقود الجمل الذي يسلمه إياه المقوم ويتولى خدمة الركاب عليه.

(٣٣) القاسمي، قاموس، ج ٢، ص ٤٧٤، وهناك المهاترة والطباخون، وغيرهم

(٣٤) حول أمن القافلة وأحوال الحج، انظر: ابن كَنّان، الحوادث، ص. ص ٧٢، ٩٢، ١٧٢، ٢٧، حيث يذكر أحوال الحج في مطلع كل سنة من حوادثه، وعن قافلة الحج الشامي جنوب دمشق في العهد العثماني، انظر دراسة إبراهيم الشرعة، "موقف القبائل البدوية من قافلة الحج في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين"، مجلة

دراسات، العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجامعة الأردنية، المجلد، ٢٩، العدد،
٢٠٠٢م. ص ٣١٩-٣٤٧.

دراسات

جزر غرب البحر الأبيض المتوسط وشبكات الخرائط
البحرية وأثرها على التجارة البحرية الساحلية وتجارة
القوافل الإفريقية في العصور الوسطى

الدكتور

محمد صالح حامد سيد أحمد

Received : 24 / 7 / 2025

Revised: 30 / 7 / 2025

Accepted : 31 / 7 / 2025

Published: 1 / 8 / 2025



د. محمد صالح حامد سيد أحمد

جامعة الملك عبد العزيز - جدة

المملكة العربية السعودية

drmss@sayedahmed.com

جزر غرب البحر الأبيض المتوسط وشبكات الخرائط البحرية وأثرها على التجارة البحرية الساحلية وتجارة القوافل الإفريقية في العصور الوسطى

مقدمة

شكلت ورقة أنغريد هوساي ميتشسينزي و إيمانويل فاجنو المهمة والمعنونة (بالخرائط التجارية وحركة التجار في مايوركا في القرن الخامس عشر الميلادي) محور ورقتي المقدمة في هذا المؤتمر، لأهميتها واعتمادها مصدرا علميا لموضوع جزر البحر الأبيض المتوسط، فعمدت إلي ترجمتها كاملة من اللغة الفرنسية إلي اللغة العربية لتكون في يد الباحثين، وكان التركيز على جزيرة مايوركا في شرق الأندلس المجاورة شبه جزيرة إيبيريا غرب أوروبا، ودور الجاليات الأوروبية من مساكن مايوركا وجزر البحر الأبيض المتوسط و جيرانهم من العرب والمسلمين حيث ظهر تعاون اليهود والمسيحيين مع المسلمين في تسامح واضح والذي شكل التقدم البحري الإقتصادي لجزيرة مايوركا وتفوقها على غيرها من الجزر الإسبانية، باعتبارها المحرك القوي للتجارة الإفريقية الأوروبية، كما ساعدت ظروف الفترة التي انطلقت فيها الجهود الملاحية والإقتصادية في مايوركا على توفر التحويل المالي، والاقتصادي إضافة إلى الخبرة الإدارية والمالية الجادة في الجزيرة في فترة حكم الموحيدين ثم الحفصيين، وتركيزهم على الناحية الإقتصادية التي شكلت المورد الأساسي لجزيرة مايوركا حيث لم تكن لها موارد أخرى تعتمد عليها.

واستوجب الأمر التعرض لأحوال الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط واشتراكها في النشاط الملاحي والإقتصادي في فترة العصور الوسطى والحديثة، وبالمقارنة بين الإستيطان البشري لشمال إفريقيا في فترة حكم الدولة الحفصية في تونس ووضع النشاط الإقتصادي والزراعي والبحري في منطقة شمال أفريقيا وتونس على وجه الخصوص و بين البيئة البحرية لجزيره مايوركا وخواصها الجغرافية ونشاطها البشري في التجارة وما إلى ذلك من عوامل اقتصادية ساعدت الجزيره على الحياة طيلة ازدهارها الاقتصادي.

تعرضت في المقدمة تمهيدا للموضوع على أهمية دور الخرائط البرتغالية في الملاحة ودورها في اكتشاف طريق التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى الشرق. كما أشرق إلى أهمية تلك الشبكات البحرية البرتغالية التي عملت بين نواحي البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وشمال أوروبا سواء في العصور الوسطى أو العصر الحديث ونحو حركة الإستعمار البرتغالي لشمال أفريقيا وغربها حتى البرازيل ، بالإضافة إلى الشبكات الإجتماعية والإقتصادية التي عملت في مايوركا وشمال أفريقيا في تلك الفترة منذ القرن الثاني عشر ظهر نشاط التصدير والاستيراد في شمال أفريقية للمواد الخام ونصف المصنعة اللازمة للصناعات الخرفية كالحديد والنحاس والقصدير وأخشاب البناء والصناعة، وكان التصدير من شمال أفريقيا أقوى بدرجة كبيرة كما أشارت دكتورة سفيتلان باتسييتا، كتابها (العمران البشري في مقدمة ابن خلدون في القرن الثالث عشر الميلادي).

الدراسة

يجمع فن الملاحة بين الطبيعة والقوارب والرجال حول خطوط التجارة التي أوجدت حضارة البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة ، والتي شكلتها شعوب البحر التي أبحرت عليها وجلبتها الحرب والنهب، ولكن أيضا المنتجات والنماذج الثقافية والمجتمعية الجديدة من أبطال المغامرين والقراصنة، إلى التجار المتحمسين

للأمن والربح فإن تاريخ العصور القديمة والوسطى هو تاريخ التعلم عن فضاء مثير ومسيطر وهو البحر، من أجل تحقيق أقصى إستفادة من نقاط الضعف فيه.

منذ القرن السادس قبل الميلاد وظهور أول سفن نقل كبيرة حتى العصور الوسطى حيث كان التقدم المحدود للتكنولوجيا والتجانس العميق لأدوات وممارسات التبادل بين ميناء المنشأ إلى ميناء الوصول. وتتحد الظروف الطبيعية للملاحة من خلال ثلاثة عناصر:

أ- الرياح. ب- التيارات. ج- طبيعة الضلوع

كذلك يمكن أن نضيف الرواية، بالمعنى الواسع الذي يعتمد على عوامل الأرصاد الجوية، ولكن أيضا في علم الأوروجرافيك : نظرا لتأثير إنحناء الأرض في يوم صاف، نرى الجبال مثل رؤية السواحل.^(١)

وإذا نظرنا إلى غرب البحر الأبيض المتوسط وشماله كان مجالا للتعاون الأوروبي والذي أدى فيه العمل المشترك للقوات البحرية للصليبيين والقوات البرية للملك أفونسو هنريكي إلى غزو لشبونة، وكانت موانئ نهر تاجوس، وسادو البرتغالية إلى الأبد، ومنذ ذلك الحين امتدت السيطرة البرتغالية إلى ألينتيخو اليوم والمسيحيين كذلك المينائيين الجنوبيين للبرتغال كانا مفتوحين لزيارات الأساطيل التي كانت متجهة إلى سوريا لغزو القبر المقدس، ونجحت البرتغال في أيام أفونسو هنريك ومآثر دون فواس روبينيو الذي تغلب على المسلمين في كيب إسبيشل وركض على الساحل الجنوبي إلى الغارف ووصل إلى سبتة في العهد الثاني حيث تم الإصرار على إنشاء البحرية العسكرية، حينما أرسل دون سان تشو أربعين قاربا برتغاليا لغزو سيلفش، محفوظة مع مع خمسين من الصليبيين الإنجليز والفلمنكيين والألمان والدنمارك (سنة ١١٨٠م) حيث كان الجنوبيون في ذلك الوقت سادة فن الإبحار (الملاحة) تلك الملاحة التي نشأت من بحر الشمال إلى البحر الأبيض المتوسط والعكس بالعكس تلك الملاحة

التي بدأوها في العصور القديمة كلا من الفينيقيين والرومان، حتى جاءت إعادة التأسيس مع حركة الحروب الصليبية التي مرت بأساطيلها التي تجاوزت أسبانيا في طريقها إلى سوريا أمام لشبونة دون أن تمكنوا من إنقاذ أنفسهم هناك حيث كانت لشبونة لا تزال تحت الحكم الإسلامي.^(٢)

قدم الأجانب إلى لشبونة وتم استنكار الطابع العالمي لتاريخ البرتغال، حيث أصبحت لشبونة مدينة عظيمة بها العديد من السكان والأشخاص العباقر، كما كانت منازل وأحياء وأراضي مخصصة للعديد من الأمم مثل أهل جنوة لومبارد، أراغون، ومغاربة مسلمين، ميلانو، كورسيكان، بيسكايات، تتمتع بامتيازات، وإعفاءات لم يكن الملوك يطمعون فيها، حيث كانوا متحمسين للمجيء وإرسال بضائع كبيرة وسميكة من مملكة البرتغال، كانت لشبونة ميناء حرا، كما أن النظام الذي تعيش في ظله العاصمة عزلها بحواجز عن بقية المملكة، فقط كان الأجانب داخلها يتمتعون باستيراد وبيع المواد الغذائية المستوردة والمصدرة كما في الخارج حيث لا يمكن أن يكون هناك سوى مواد غذائية، ذات طعم مميز كما هو الحال في إيطاليا، حيث حد التجار والطبقات العاملة من قوة العظماء والمحاربين كذلك أصبحت التجارة بمثابة دفاع للنبلاء والأباطرة ومع ذلك لم يكن الملك مدرجا في عداد هؤلاء لكونه مالكا للسفينة، وتاجرا شخصيا، ولكنهم لم يشتروا ولا يبيعوا الأنواع التي يتاجر بها الآخرون حتى لا ينافسهم تاجر حيث كان التاجر على ما يبدو كان لديه المزيد في الاعتبار للتحريض وتعزيز التنمية، مثل حركة المرور التجارية مما ساعد في فتح الطرق التجارية، واستكشاف أنواع جديدة، حيث كان هناك دون أدنى شك لدى الحكومات فكرة واضحة عن الحماية لأن الملوك كان لديهم مثل هذه الطريقة مع الناس وشعروا بها لخدمتهم، والربح الذي يفرض على الأموال الضمان لمن أراد أن يحمل نقودا، ويتقاضى عشورا مرتين في السنة والعائد آتي إليهم، وبعدما رأى ما يكسبه كل منهم تركوا العشور على الفور.^(٣)

جمع فن الملاحة بين الطبيعة والقوارب والرجال حول خطوط التجارة التي أوجدت حضارة البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، التي شكلتها شعوب البحر التي أبحرت عليها، وجلبتها الحروب والنهب، ولكن أيضا المنتجات والنماذج الثقافية والمحتمة الجديدة، من أبطال المغامرين الأسطوريين مثل أوليلي أو خايسون أو إينيس إلى التجار المتحمسين للأمن والربح فإن تاريخ العصور القديمة هو تاريخ التعلم عن فضاء مثير للإشمئزاز ومسيطر، وهو البحر، من أجل تحقيق أقصى إستفادة من نقاط الضعف.

سوف نركز في هذا الموضوع على طرق الملاحة. أي الطرق المخططة للرحلة والتي اتخذتها بالفعل سفينة للانتقال من ميناء المنشأ إلى ميناء الوصول، وترتبط الطرق في الواقع بالقيود الطبيعية كما قال (مور هون ٢٠٠١): بعض الطرق غير سالكة بشكل مؤقت أو مزمن في اتجاه معين، وبالتالي يؤدي السبب إلى اختيار طرق أخرى، قد تملئ الأسباب السياسية أو الاقتصادية أيضا طريقا على آخر، حيث يمكن للأسباب المذكورة التحويل للإستفادة من السوق بالذهاب إلى وجهة نهائية وممارسة العديد من التوقعات التجارية على طريق مخطط مسبق قد نضطر إلى تجنب المناطق غير الآمنة أو المرهقة أو المحظورة من قبل دولة أجنبية ذات سيادة تسيطر على المناطق البحرية.^(٤)

وتظل الحقيقة أن الجغرافية القديمة حتى عندما بدأت في استخدام أقوى الأدوات الرياضية المتاحة للجغرافيين، كانت تعتمد إلى حد كبير على البيانات التجريبية، ولم تكن إعادة بناء شكل وأبعاد الأرض المأهولة مبنية بشكل أساسي على الحسابات الفلكية، إذا كانت بعض حسابات خطوط العرض قد تدخلت من حين تدرج في النقاش، فلابد من إدراك أنه حتى بطليموس كانت البيانات المعينة المستمرة من التجربة والمصادق عليها من قبل الضمير الجماعي والتقاليد هي التي سمحت ببناء الخريطة، حتى لو كانت الصورة التي تم إنتاجها في نهاية البحث محدودة ومصطنعة للغاية، فإن جميع العناصر

المطلوبة لتكوينها لها جذورها في الفضاء، الموجود، وهي ذات طبيعة علمية في الأساس.

تم إستخلاص هذه البيانات أولا من الملاحة، ولم يبدأ فعليا إلا مع فتوحات الأسكندر ومع القياسات ولدت جغرافيا أراتوستينيس، التي استمر عددها ونوعيتها في النمو في ظل الإمبراطورية الرومانية، تلك القياسات التي جمعها الجغرافيون لبناء خريطة العالم تحتوي على إمكانية غير متوقعة فقد أعطوا حياة جديدة مع ظهور ما يسمى "الجغرافيا الرياضية" وبها يكون الخطأ هو التفكير على أساس قوائم الإحداثيات لبطليموس، حيث كانت هناك أربع مدن فقط موضوع حسابات خطوط العرض : س (أسوان) الإسكندرية رودس، ومرسيليا، بينما ظل حساب خطوط الطول غير متاح لرجال العصور القديمة.

خير أن الفكرة التي سادت لفترة طويلة والتي تجد مؤيدين لها اليوم هي الأسبقية المطلقة للملاحة الساحلية في العلاقات البحرية، لها أصول معقدة، ولها جذورها في كل من المفهوم البدائي لكل ممارسات الملاحة والتجارة في البحر الأبيض المتوسط القديم.^(٥)

تم توثيق الملاحة الساحلية التجارية قبل كل شيء من خلال مصادر العصور الوسطى والتي طلبها العلماء الأنجلوسكسونيون على نطاق واسع خلال العشرين عاما الماضية حيث كان من المناسب على الأقل الإهتمام بالخصائص الرئيسية للملاحة في العصور الوسطى دون مناقشة إلى القصور القديمة (ودخلها إلى جميع الفترات دون تمييز) والتساءل عن السمات المحددة للسياق الذي شكلها، حيث كانت المجموعات الأكثر طلبا هي تلك الخاصة بجنيزة القاهرة، والتي تتعلق بأنشطة جزء من أسطول دلتا النيل في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي وتلك التي تجعل من الممكن إعادة بناء الخطوط الرئيسية لتاريخ الأساطيل التجارية في مصر، البندقية وجنوة بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر.

حيث تهتم أرشيفات جنيزة (بودوفيتش ١٩٧٨) بشكل أساسي بالتبادلات مع شمال إفريقيا، وأحيانا مع إسبانيا ومع مرسيليا، كما هو الحال في العصور القديمة، عادة ما يكتشفون عن تجار متميزين عن مالكي السفن، الذين يستأجرون مساحة على متنها لبضائعهم، وكانت القاعدة هي قارب واحد لكل مالك، لكن أقل إطلاعا على حجم السفن فيجد المرء هناك صورة تجارة عالية التخصص، مسجلة في مساحة محددة نسبيا، ساحلية حصرية، وبطيئة جدا، لا يرجع هذا البطء إلى قيود الفنية، بل يرجع إلى الهيكل الإقتصادي للتجارة التي ترتبط بها، مما يؤدي إلى العديد من التوقيفات، وعادة ما تكون طويلة جدا بسبب تعقيد الأنشطة التجارية، أن الملاحة الساحلية التي وصفها وثائق جنيزة هي نتيجة لسياق إقتصادي وممارسات تبادل محددة للغاية، لذا فالوقت عنصرا أساسيا في الحساب الإقتصادي، حيث كان المبدأ هو شراء السلع بسعر منخفض لبيعها بسعر مرتفع، حيث تفتقر إليها، إنها تجارة تلعب على تقلبات الأسعار، وحيث يكون من الضروري الوصول قبل الآخرين، في دروة الطلب، وبالتالي كيف تكون^(٦) سريعا، حيث تتضاعف محطات التوقف بحثا عن ظروف السوق المواتية والبحث عن معلومات حول حالة الأسواق المختلفة، وعن وجهة السفن الأخرى، ثم لا تتردد في تحويل أنفسنا (بودوفيتش ١٩٧٨، ص ٥٢٥-٥٢٧) للاستفادة من الوضع الأمثل.

تمثل التجارة في القرنين الثالث عشر والخامس عشر، والمعروفة بشكل رئيسي من خلال وثائق جنوة وفينيسيا، قواسم مشتركة أكثر وضوحا مع العالم الروماني؛ أولا من خلال المسافات، فإن أفضل طريقتين موثقتين هما طريق الشام وطريق المحيط الأطلسي؛ ثم من حيث الحجم والرهانات المالية للبورصات؛ أخيرا من خلال زيادة حمولة السفن في حين أنه لا يستبعد الملاحة الساحلية ذات المهنة الإقليمية، إلا أنه يمكن تعريفها على أنها (الملاحة الساحلية الرئيسية)، في التعريف المقدم من إ. كيتري، بقدر ما عبر مسافات كبيرة قبل أن يقوم بعدد كبير نسبيا من المحطات التجارية، والتي استمر عددها في الزيادة في القرن الخامس عشر الميلادي، مع تطور التجارة المتخصصة.^(٧)

الخرائط البرتغالية

بعد الرحلات الرائدة لبارتولوميو دياز، وفاسكو دا جاما تم رسم الساحل الشرقي لإفريقيا تدريجيا وفقا لنموذج، الخرائط البحرية في العصور الوسطى ثم نشهد بعد ذلك إنتاج خرائط بحرية (أول برتغالي أو إسباني، أو إيطالي) وأحيانا كبيرة جدا، استنادا إلى استطلاعات أجراها الملاحون، حيث نلاحظ في هذه الكرة الأرضية ترددا في الشكل الفعلي لإفريقيا، وأحيانا نجدها مستطيلة، تذكرنا ببطليموس، أو يشير إلى الجنوب بشكل أو بآخر، منذ القرن الرابع عشر الميلادي ثم اعتبار الخرائط البحرية موثوقة بشكل خاص لتمثيل الشواطئ والتي تعد على وجه التحديد المساحات الأولى التي يستكشفها الملاحون، قبل فترة طويلة من المناطق الداخلية للأرض، لكن تقنية رسم الخرائط البحرية، التي تم تطويرها لمنطقة البحر الأبيض المتوسط باستخدام البوصلة، والتي امتدت إلى الساحات المحيطية التاسعة، حيث طرحت مشكلة موثوقية القياسات من خطوط العرض وخاصة من خطوط الطول، المسجلة على الأرض، لم تستطيع بيانات التجربة الإستغناء عن الإطار النظري.^(٨)

غير أن هنري مارتيل يقدم مثالا على إستقبال بطليموس من توسكانا وتكليفه مع الإكتشافات البرتغالية الحديثة رسام الخرائط الألماني هذا الذي يرجح أنه من مواليد نورمبرغ، عمل في فلورينسا في خدمة عائلة من النبلاء الفلورنسيين (مارتيلي، من هنا لقبه) والذي كان قريبا من رسامي خرائط ألمانين آخرين مشهورين، نيكولاس جرمانيوس الذي صمم الخرائط المطبوعة للجغرافيا أولى عام ١٤٨٢م وليبنهارت هول، طابعة هذه الطبقة الأولى، أنتج العديد من أعمال رسم الخرائط، غالبا ما تكون فاخرة، كما اعتنى أيضا ب ٥٥ كرة أرضية من نسخة جميلة جدا من الجغرافيا، وضع مشروعه في الجمع بين المعرفة في وقته لإنتاج عمل رسم الخرائط إستناد إلى السلطات القديمة، ولكن تم تحديثه أيضا من خلال الإكتشافات الحديثة.

يحتوي هذا العمل المغطى بالزخارف على الكوزموغرافيا لكلاوديوس بطليموس، مع خرائط المناطق في عصرنا، وجميع الموانئ والأماكن البحرية المعروفة بالفعل والتي اكتشفها ماك البرتغال مؤخرا.^(٩)

حيث لا يحتوي هذا المشروع على أي شيء أصلي بشكل خاص، ويتخطى كل رسم الخرائط الإنساني في نهاية العصور الوسطى بدلا من التجميع كما هو الحال في خرائط العالم لفرامورو حيث اختار مارتيلوس إفريقيا القابلة للإبحار حول العالم ولكنها تتخطى بشكل غريب إطار خريطة العالم باعتبارها إنتهاكا مرغوبا ومفترضا لإطار بطلمي شديد الصلابة وعالم آخذ في الاتساع، ومع ذلك في عام ١٤٨٩م وهو تاريخ خريطة العالم هذه، لم تعيد الملاحة بعد أي أسماء جغرافية تقريبا على الساحل الشرقي لأفريقيا، ولا يضع مارتيلوس سوى بعض الأسماء المأخوذة من جغرافيا بطليموس بعد ذلك، إلا أن التعدي على الإطار ألهم فرانثيسكو روسيلي، ثم مارتن فالديسمولر، الذي وضع صورا على واجهة مقدمة الكرة الأرضية عام ١٥٠٧م، بقلم جيوفاني فسبوتشي وكلاوديوس بطليموس، مؤكدين على كيفية الجمع بين الطريقتين (رسم الخرائط البحرية ورسم الخرائط البطلمية) للوصول إلى صورة موثوقة للواقع الجغرافي.^(١٠)

الشبكات البحرية البرتغالية

أما فيما يتعلق بالشبكات البحرية التي أنشأها البرتغاليون للملاحة حيث احتل البحر الأحمر مكانة مميزة في الخيال الأوروبي، يعرف بالفعل من عالم البحر الأبيض المتوسط القديم بأنه الطريق المميز إلى الهند، وهو مدين بالكثير من وعينا برسم الخرائط، جلبته العديد من التقاليد إلى الواجهة وألهمت قدرا هائلا من تمثيلاتها، حيث كان أحد أهم التمثيلات هو علم الكونيات لبطليموس (القرن الثاني الميلادي) الذي أدى إلى متغيرات متعددة طوال فترة القرون الوسطى حتى عصر النهضة، وحين يقدم تعليق على سفر الرؤيا (حوالي ١٠٢٨-١٠٦٠م) لبيتوس دي ليبانا، وبوليكرونكون من رانولف هيغدن (القرن الرابع عشر) مثالين على استكشاف مخططات العصور الوسطى أشكالاً مختلفة

من القصور، كذلك من ناحية أخرى شدد كرونولوجيا ماجنا بولين من البندقية (١٢٦٩م) على وظيفة البحر الأحمر كطريق للتوابع، فإن أهميتها ترجع أيضا إلى قربها من الأماكن المقدسة المسيحية وشبه جزيرة سيناء، التي يحمل إسمها دلالات مكان الوحي الكتابي، وفي أعقاب الحروب الصليبية بعد إسقاط عكا (١٢٩١م) على يد القديس يوحنا، سارعت الممالك المسيحية للعثور على حليف لتحري القوة الإسلامية في بلاد الشام، كما أدى إلى نشر الكتابات السياسية التي تدعو إلى إستراتيجيات تدمير^(١١)

تدمير الإسلام وإلى إحياء الأساطير المتعلقة بالمسيحية غير الساحلية لمساعدة العالم المسيحيين في معركته يحكمها القس برسترجون الغامض حيث كان يعتقد أن هذه السيادة المسيحية تقع في مكان ما من الأراضي الآسيوية، وفي نفس الوقت ساهمت السفارات الحبشية بالإهمال للبرتغال وأوروبا الغربية.

الخرائط والشبكات الإجتماعية والإقتصادية

بدأ أفونسو دي ألبوكيرك خلال فترة الراحة الطويلة في رحلته التي استمرت شهرين، بدأ أفونسو دي ألبوكيرك في رسالته المؤرخة من ٣ ديسمبر ١٥١٢م الموجهة إلى الملك دوم مانويل بتسجيل رؤيته للتكوين المكان للبحر الأحمر، ويجب التذكير على مدى أهمية معلوماته في العصور اللاحق للبرتغاليين عن هذا البحر غير الساحلي في محاولة لتسهيل تصور مثل هذا الفضاء الفريد حيث قامت المصادر البرتغالية لاحقا بمقارنة البحر الأحمر بساحلية ضخمة تتوافق رقبتها مع منطقة باب المندب ورأسها إلى خليج عدن حتى رأس غواردافري كما أولى أفونسو دي ألبوكيرك إهتماما كبيرا بالبيئة الطبيعية أخذ قياسات الأعماق، ولاحظ الإنقطاعات الجغرافية للمناظر الطبيعية والتناوب المسجل بين الهضاب والأحواض وتكوينات الكتبان الرملية والسلاسل الجبلية كذلك كان مهتما بشكل خاص بالجغرافيا السياسية للبحر الأحمر والترابط من الديموغرافيا والبيئات الطبيعية المعادية، وكذلك اللامركزية في السلطات السياسية بالإضافة إلى اهتمامه بنقل معلومات عن مختلف القبائل وفئات السكان وقدم تقارير عن الشبكات التجارية، وكذلك

من الرابط الاجتماعي والإقتصادي والسياسي، كما قد عمل على معرفة من الذي حكم وأين، وما هي حدود الممالك، وفي دفع الجزية للحكام المختلفين^(١٢) نجد كيف يتناغم كيف يتناغم دور حدود البحر الأبيض المتوسط كمنطقة نفوذ أوروبي وبعض الوجود البرتغالي مع دوم جواو الثاني، ومن خلال انصالاته مع تونس وإنشاء مركز تجاري في أوروبا (روي Roy فرنانديز دي ألامادا) بين عامي ١٤٨٢ و ١٤٨٧م، هذه المرة ساهم تطوير تصدير السكر الأطلسي إلى البحر الأبيض المتوسط وذلك حينما باعه الملك لشراء الأسلحة، كما سيكفل دوم مانويل استمرار هذه السياسة، مع إنشاء مركز تداول شبير (١٤ مارس ١٤٩٩م)، وتجارة السكر مع العثمانيين، مصحوبة بالحماية الممنوحة لرودس، حيث رأى الملك القاعدة الإستراتيجية التي يفتقر لها في شرق البحر الأبيض المتوسط وهي "بوابة" حقيقية للوصول إلى البحر الأحمر في ظل سيطرة تجارة غرب المحيط الهندي.

نظرت أوروبا إلى البحر الأبيض المتوسط كحد جنوبي لأوروبا، والخط الفاصل بين المسيحية والإسلام خصوصاً بعد استيلاء محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٤٥٣م (١٤٤٤-١٤٤٦ / ١٤٥١-١٤٨١م) حيث كانت منطقة يسهل اختراقها وسهلة التبادلات والاتصالات والتداول^(١٣).

ولذلك تتمثل إهتمامات قاعدة بيانات أبيم APIM إلى جانب وصف المنافذ في. الملفات الفردية في السماح بتمثيل وفهم البنية المكانية للمناطق الساحلية، وإدراجها في شبكات التبادل المعقدة، أما في حالة المغرب العربي، الذي يمتد من المحيط الأطلسي إلى طرابلس، وبرقه يتجه أكثر نحو مصر والشرق، تزداد أهمية دراسة الموانئ مع زيادة دورها في التاريخ ليس فقط سياسياً وإقتصادياً ولكن ثقافياً ودينياً أيضاً، حيث كانت المنطقة من القرن التاسع وخاصة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر تعيش مع نزوح العديد من العواصم السياسية نحو الشمال والنتيجة هي إندماج شامل بشكل متزايد في الشبكات التجارية التي تمتد إلى العالم الإسلامي بأسره (نحو الأندلس وصقلية في

الشمال، ونحو مصر وخارجها نحو سوريا والعراق والمحيط الهندي إلى الشرق)، ومن الشرق الأوسط في القرن الحادي عشر إلى الشواطئ المسيحية للبحر الأبيض المتوسط علاوة على ذلك فإن^(١٤) توسع اللاتين نحو الأسواق المغاربية هو الذي يعدل جذريا شبكات التبادل لموانئ الساحل الأفريقي مم خلال توسيع أفقها بعيدا جدا إلى الشمال إلى المناطق الإقتصادية في فلاندرز وإنجلترا، وصول الجهات الفاعلة القوية والديناميكية الجديرة التي تساهم بشكل كبير في تعديل التدفقات والتسلسل الهرمي للموانئ.

إن مفهوم الشبكات في قلب مشروع أبيم APIM، يجعل من الممكن تحرير الذات من فئات التحليل التي سادت لفترة طويلة، والتي اجبرتنا على التفكير من حيث الكتل، والتي غالبا ما يتم التفكير فيها في الجانب الديني أو السياسي وغير قادر على تفسير تكوينات أو تطورات هذه التبادلات، وبالمثل فإن المنهج فيما يتعلق بالمركز الأطراف التي تؤدي فيما بينها إلى إبراز مراكز الرخم الكبير للتجارة، ولا يجعل من الممكن فهم عالم متوسط يتسم بتعدد الأقطاب، وغالبا ما يؤدي إلى المبالغة في تقدير دور الدول والدور السياسي الصراعات، فضلا عن العواصم السياسية.

إن منهج الشبكة، على العكس من ذلك يجعل من الممكن تحليل هذا التقدير، لاسيما من خلال الإهتمام بالمقاييس.

الدولة الحفصية

كان الأندلسيون من شمال أفريقيا هم الهاربين من نير وإضطهاد الإسبان سكان إسبانيا، وقد استوطنو كلهم تقريبا في المدن الساحلية الكبرى مكونين بداية لمجموعات كبيرة (كذلك أن يذكر شيخ الطائفة الأندلسية في بداية عام ١٢٥٠م) وقد أنشأوا في جيش الأندلسيين تشكيلات عسكرية خاصة، لكن سرعان ما إمتزحوا هم وأحفادهم بالسكان المحليين بالمدن، ولقبت سلاطاتهم (بالأندلسيين) وهم وفقا للتقاليد أكبر تحكم العادة من أي إنعزال سياسي أو إقتصادي، وقد احتفظ الأندلسيون أمرا طويلا بتفوقهم الثقافي

والمهني على سكان البلاد المحليين، ومن أجل ذلك سرعان ما أصبحوا على رأس النقابات المهنية والتجارية، لأن الأندلسيين هم ورقة الثقافة الإسبانية والمورسكية الأكثر تقدماً في ذلك العصر، وقد اكتملت لهم أفضل القوى العلمية والأدبية في مجتمع شمالي أفريقيا.

ولم تكن الأرستقراطية الأندلسية مرتبطة بالقبائل، ولم تكن لها ملكيات عقارية كبيرة وراء حدود التلال، بل كانت رفاهيتها مرتبطة تماماً بالوظائف الحكومية المتصلة بإيجارات الأراضي مرتبطة تماماً بالوظائف الحكومية المتصلة بإيجارات الأراضي وبالتجارة عبر البحار، ولهذا كان للأندلسيون نصراء للحكومة المركزية القوية، وكانوا مرفقين في التجارة الداخلية والخارجية كما كانوا أعداء للحكومات الذاتية القائمة، باذلين جهدهم للوصول إلى السيطرة الكاملة على الشؤون الحكومية لشيوخ الموحدية.^(١٥)

وكان المنحدرون من سلالتهم يستغلون أكثر المناصب العليا في البلاط والإدارة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وكان النضال بين الأندلسيين وشیوخ الموحدين على الدور القيادي في الجهاز الحكومي لدولة بني الأحمر يسير عبر التاريخ السياسي لأفريقية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي.

وبعد وفاة أبي زكريا (١٢٤٩م) واصل سياسته السلطان المنتصر (١٢٤٩-١٢٧٧م) في بداية المملكة التي رفع زعماء الموحدين فيها راية المتمردين لأول مرة في مواجهة، المتسلط الأندلسي، في عام (١٢٥٠م) وبسرعة وقوة ثاروا مؤيدين بالحرس المدن الخاص، والفرق المسيحية المأجورة، ومع ذلك لم يكن هذا المتمردين هو الأخير.^(١٦)

ولعل ما أشارت إلين سغيتلانا باتسينا، أن الأرستقراطية الأندلسية لم تكن مرتبطة بالقبائل، ولم تكن لها ملكيات عقارية كبيرة وراء حدود التلال، بل كانت رفاهيتها مرتبطة تماماً بالوظائف الحكومية المتصلة بإيجارات الأراضي وبالتجارة عبر البحار، ولهذا كان الأندلسيون نصراء للحكومة المركزية القوية. ومانوا موفقين في التجارة الداخلية

والخارجية، باذلين جهدهم للوصول إلى السيطرة الكاملة على الشؤون الحكومية لشيوخ الموحديين، وكان المنحدرون من سلالتهم يستغلون أكثر المناصب العليا في البلاط والإدارة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وكان النضال بين الأندلسيين وشيوخ الموحديين على الدور القيادي في الجهاز الحكومي لدولة بين الأحمر يسير عبر التاريخ السياسي لأفريقية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي وعند بداية القرن الخامس عشر الميلادي شغلت إفريقيا في الشمال الأفريقي موقعا مسيطرًا كانت قد فقدته بعد وفاة المستنصر وأحرزت التقاليد السياسية للحكام الحفصيين الأوائل أخيرا قرة حيوية، ولكن إزدهار أفريقية لم يستمر طويلا، ففي النصف الثاني من القرن الخامس عشر، دخلت بلدان شمال أفريقيا مع بلدان البحر الأبيض المتوسط الأخرى مرحلة الأزمة القاسية التي جاء بها القمع وكساد الحياة الإقتصادية والسياسية والثقافية لسنوات طويلة.

ولقد زحفت هذه الأزمة الناشئة أساسا في البلدان الأوربية من حوض البحر الأبيض المتوسط، بالإنتاج الرأسمالي القديم، والتجارة البحرية والبرية الضخمة مع الشرق "فكل التجارة مع الشرق توقفت بسبب الغزوات المنقولية والتركية والكشوف الجغرافي التجارية، منذ ١٤٩٢م وأسرت بها، ثم عجلت بنهايتها"، وبحكم التخلف الإقتصادية في شمال أفريقيا، ظهرت الأزمة هناك من قبل بشكل أقسى بما حدث في البلاد الأوربية، ولقد ضاعف من حدة الأزمة وزادها تحرجا، تغلب المسيحيين (الأسبان والبرتغاليين) والأتراك بصورة أساسية واستيلاؤهم على ساحل الشمال الإفريقي.

وعلى هذه الصورة، وبفضل تطور العلاقات السلعية في نظام السوق الدولية للبحر الأبيض المتوسط، وتزايد الأهمية الإقتصادية والسياسية للمدن الساحلية في شمال أفريقيا في القرن الرابع عشر الميلادي تكونت فئة إجتماعية هي طائفة النبلاء تلك الطبقة وثيقة الصلة بالتجارة الدولية والإقتصاد السلعي،^(١٧) ويضيف شارل أرندرية جوليان حديثه عن الحفصيون قائلا : (ومهما واجهت الدولة الحفصية من ظروف الدهر فإنها استطاعت أن تصمد في. الشطر الشرقي من المغرب طيلة ثلاثة قرون ونصف وأن تترك في البلاد

أثرا عميقا، الأمر الذي يبرر عمل د. برنشفيك الذي خص أكثر من نصف تأليفه لدراسة البلاد ومؤسساتها كانت الحالة الديموغرافية تشهد توافدا على أفريقية أكثر من غيرها من أجزاء المغرب الأخرى، من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر عدد كبير من العرب الرحل، فكيف تمكن هؤلاء القادمون الجدد الذين نجهل عددهم من الاستيطان ببلاد لاريب أنها كانت عامرة بالبربر الذين كأنهم استقروا بصفة عامة ومن دون أن ذلك قاعدة مطرده في الأرض المبسطة المتلائمة مع عاداتهم الرعوية، بينما نزح البربر نحو السواحل أو اتجهوا إلى المناطق الجبلية، على أنه من العسير أن نميز إبتداء من العهد الحفصي بين الجهات البربرية، والجهات العربية لأن الحدود اللغوية لم تعد متطابقة مع الحدود العرقية، نتيجة لتغلغل اللغة العربية تغلغلا عميقا حتى في المناطق التي يسكنها البربر. وكان يعيش إلى جانب المسلمين نصارى ويهود، ولئن ضايق الموحدون المتشردون، فقد تمكنوا من العيش والتحق بهم عدد من يهود إسبانيا على أثر منالهم من اضطهاد سنة ١٢٩١م نتيجة قرار الطرد الذي سلط عليهم بعد استيلاء النصارى على غرناطة ولم يقم يهود أفريقية بالدور السياسي الذي كان من نصيب إخوانهم في الدين في المغرب الأقصى في عهد المرينيين، ولكنهم^(١٨) ساهموا مساهمة فعالة في الحركة الإقتصادية بالبلاد وشملهم ملوك بني حفص بالرعاية والعناية، فهل كانوا يعيشون في حارات خاصة كما كان الشأن في المغرب الأقصى إبتداء من القرن الخامس عشر الميلادي حيث أن ما لدينا من الوثائق لا يسمح بالتيقن من ذلك كما قال جوليان.

أما النصارى فإنهم كانوا جميعا من أصل أوربي إذ أن آخر ما تبقى من آثار المسيحية الإفريقية قد إندثر منذ القرن الثاني عشر تحت تأثير الحركة الموحدية، وكان منهم التجار الذين كانوا يعيشون غالبا في الموانئ مجتمعين "بحسب قومياتهم" في فندق حيث يسكنون ويتاجرون تحت إشراف قنصل معتمد لدى العاهل الحفصي، ولئن كانوا عرضة للتقلبات السياسية فإن وضعهم كان في الغالب مرضيا، وكان إلى ذلك يوجد بالبلاط للحفصي، حرس نصراني مؤلف من بضع مئات من الرجال كادو جميعا في

الأوقات أن يكونوا من القطلانيين (Ctals) يقومون بحراسة شخص الأمير ويعيشون في حي خاص بهم وبقوا في الجملة على نصرانيتهم.

وكان يوجد إلى جانب هؤلاء من تنكر لدينه وأكثرهم كانوا من العبيد رجالا ونساء إختطفهم القراصنة، وأخيرا كان يوجد عدد من رجال الدين في خدمة كنائس المجموعات النصرانية، منهم المكلف بدفع دية الأسرى، ومنهم المبشر سواء إنتسب إلى نحلة الدومينيكان، أو الفرنسيسكان، ويسعون جميعا إلى شراء الأنفس في سبيل الله،^(١٩) وستبقى الحفصيون بأفريقية في حكمهم لهذه المجموعة من السكان المختلفة الأجناس النظام الذي وضعه الموحدون بل أن المهدي ابن تومرت ظل إلى أوائل القرن الرابع عشر يرعى له في الخطب أيام الجمع، الأمر الذي يدل دلالة قطيعة على أن الخلفاء الحفصيين كانوا حريصين على الظهور بمظهر الوارثين للموحدين والمواصلين لرسالتهم، وأن المعلومات التي أوردها العمري في كتابه "الممالك" والتي استنفذ لبابها كاملا لتشهد بأن هذا النظام بقي ماثلت حتى أوائل القرن الرابع عشر، ولكنه كان يتطور بمفعول مؤثرات عربية وأجنبية.^(٢٠)

لذا أصبحت تونس في عهد الحفصيين عاصمة بلا منازع، وكان لابد من بناء أسواق جديدة نظرا إلى أن حركة التجارة التونسية من نشاط مستمر، وكانت تونس تصدر الحبوب عند توفر المحاصيل والتمور وزيت الزيتون والشمع، والملح، والأقمشة، والزرابي والمرجان، وبعض الأسلحة وخاصة الصوف، والجلود، ولربما كانت تصدر كذلك العبيد السود، وكانت تورد الحبوب عند للإضطراب والخمور وبعض طيور القنص، والبلور والخشب المصنوع والمعادن، والأسلحة والتوابل، والحشائش الطبية، والعمود والخشخاش، والكتان والحريير والقطن، وأقمشة متنوعة، والحلي، وكانت البضاعة الموردة تخضع إلى ضريبة قدرها ١٠ في المائة من قيمتها وكانت تونس تضرب سكة من ذهب (دينار والدبلون) ومن الفضة (درهم) هي أكثر اعتبارا سكة البلدان النصرانية.

وكانت النصارى تتاجر مع المشرق برا بواسطة القوافل، وبحرا، وكان التجار النصارى يتوافدون على مينائها، فعلاوة على المنحدرين من جنوة وبيزة فإن القادمين من البندقية فلورينسا، وأراغوان كانوا يقومون فيها بدور هام في القرن الرابع عشر، فكان لآل أكسيا ولي (Accuiauoli) وبروجي (Prruzzi) من فلورينسيا، الذين^(٢١) فتحوا في تونس وكالات قرة، وأقدموا على تقديم أموالا للخليفة، وكان لها تأثير سياسي بعيد الأثر، كما سمع تقدم التقنية التجارية، وتطور التأمين على المراكب بتنمية النشاط التجاري، والإقتصادي، وأبرمت معاهدات خاصة لحماية الأجانب في أشخاصهم وممتلكاتهم، وتعتبر المعاهدات التي تمت مع البندقية سنة ١٢٣١م وبيز سنة ١٢٣٤م أو جنوة سنة ١٢٣٦م مثالا يحتذى (فهى تقضي بضمان الملاحة للأطراف المتعاقدة وتضبط قواعد التجارة وشروط استيطان النصارى الأجانب في دار السلام).

وتجددت هذه المعاهدات في فترات كادت أن تكون منتظمة، وزير فيها أحيانا، من ذلك أن بيز تحصلت سنة ١٣٥٣م على ضمانات جديدة لأمن رعاياها وحرية متاجرتهم، واعتبار مسؤولية التاجر المعني بالأمر في حالة نشوب خلاف عوضا عن إدانة مواطني هذه المدينة بصورة جماعية، وكان لكل أمة قنصل يرعى مصالحها ويحمي جاليتها، وفندق تودع فيه البضائع ويلاذ به عند حدوث الإضطرابات، ووجدت كذلك فنادق نصرانية بعناية وبجاية و صفاقص وقابس وجربة، ولم تكن التجارة في أمن دائم إذ كان النصارى ينافسون المسلمين في سوء النية، وكثيرا ما كان الدفع بالتقاضي (à CRÉDIT) وترد البضائع إما عن طريق الجمارك بضمان أدبي من السلطة، وتباع بالمزايدة، وعن طريق ترجمان أو تأتي مباشرة بما في ذلك من مخاطرة بالنسبة إلى التجار.^(٢٢)

واستغل أمر القراصنة، وتجاوزت سلطة الخليفة، فاضطرت المراكب إلى أن تبحر متجمعة وتكررت الأزمات من ذلك الإحتلال "رو جار دي لوريا" لجربة، وتركيز هذا الإحتلال من قبل مغامر إسباني من القطلان يدعى رامون مونتنيير (Ramon

(Montaner) (١٣١١-١٣١٤م) حتى تم استرجاع المسلمين لها سنة ١٣٣٥م، وهجمات أهل جنوة والصقليين غير الموفقة وكانت النتيجة أن توترت العلاقات وانتهى التنافس بين البحارة النصارى وقراصنة المهديّة إلى قدوم أسطول من البندقية وجنوة سنة ١٢٩٠م لغزوه مراكب فرنسية للإستيلاء على هذه "المدينة الإفريقية القوية" بحمايتها الأشداء (عن المؤرخ فرواسار) وفشل الهجوم، ولكن قد تكون المهديّة اضطرت إلى دفع إتهامه، ولكن كان لنمو قرصنة المسلمين من العوامل التي حملت الأسبان على مهاجمة جربة وتونس في القرن السادس عشر الميلادي. (٢٣)

متطلباتها السياسية في تناقض شديد مع مصالح الأرستقراطية الإقطاعية للقبائل المحاربة، وقد حدد النضال بين هاتين المجموعتين أسلوب الحياة الإجتماعية لشمال أفريقيا في القرنين الرابع والخامس عشر الميلادي، وانحدرت الإحتياجات الأساسية للنبل في الأقاليم السياسية الإقتصادية والإدارية إلى حد اشتراط إمكانيات قصوى لتطوير الإقتصاد التجاري في إطار الإقتصاد القطاعي.

وبضعف سوء البحر الأبيض المتوسط وتهورها اتضحت الهزيمة النهائية لهذه الطبقة الأكثر تقدما، وهي طبقة الإقطاع، وعدم استقرار نظرتها السياسية، وانسحابها التدريجي من المواقع التي احتلتها في وقت مبكر.

موقع جزيرة مايوركا

تقع جزيرة مايوركا في شرق الأندلس بالقرب منها جزيرة منورقك. وتوقفت حركة الإسترداد المسيحي إثر توطيد الموحدين سلطانهم في الأندلس مدة من الزمن، لكنها ما لبثت أن عادت إزدادت استفحلا بعد ضمحل الموحدين في النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وذلك لعدم وجود دولة إسلامية قوية تستطيع إنقاذ الأندلس من خطر تساقط قواعدها، وفي ذلك الوقت العصيب على المسلمين تحدث نوايا الممالك الأسبانية النصرانية على مهاجمة الإمارات الإسلامية، وبذلك

إجتاحت الأندلس موجة عاتية من الغزو المسيحي وتساقطت قواعد الأندلس شرقا وغربا في يد النصارى فسقطت جزيرة مايوركا.

كانت مايوركا آخر جزيرة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط استعادها المسيحيون الأسبان في ثلاثينيات القرن الثاني عشر الميلادي، وانتقلت من أيدي الحفصيين (أبو حفص يحيى) الذي حكم نيابة عن الموحيدين إلى أيدي ملك أراغون جاك الأول، حيث أدى تاريخها المضطرب إلى التمتع بفترة استقلال بين عامي ١٢٧٦م و ١٢٤٩م أثناء وجود مملكة مايوركا المستقلة قبل أن تصبح مرة أخرى ملكية لتاج أراغون. (٢٤)

البحر المتوسط

كان الإقبال الكبير على تجارة محاصيل أفريقيا الإستوائية التي ترد دخلا كبيرا على تجار شمالي إفريقيا بفضل تصدير الذهب من هناك ومن الفيل، وخشب الأبنوس وغيرها، حيث كان بإقبال الكبير على هذه التجارة وشبه إختيار شمال أفريقيا (إلى جانب مصر) لتزويد بلدان البحر الأبيض المتوسط، وبقية أوروبا بهذه التجار لدرجة استيعاب الطريق البحري البرتغالي إلى ساحل غربي أفريقيا (في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي) واكتشاف أمريكا، كان كل ذلك يزود كثيرا من تجار مدن الشمال الأفريقي وشيوخ القبائل الصحراوية بمكاسب ضخمة.

ولم يكن شمال أفريقيا موردا للخامات اللازمة لصناعة المنتجات والجلود في بلدان أوروبا فحسب، ولكنه كان كذلك سوقا لتصريف السلع المتنوعة التي تتجر بها المدن الكبرى بحوض البحر الأبيض المتوسط، إلى جانب استيراد الإنتاج الصناعي من المنتجات والمصنوعات المعدنية من المدن المختلفة في إيطاليا وفرنسا، والفلاندر، والحبوب من لومبارديا، والسفن من جنوا والزجاج من فينيسيا، والسلع الكمالية من إيطاليا الإسكندرية، كذلك كانت شمال أفريقيا تصدر المواد الخام ونصف المصنعة

اللازمة للصناعات الحرفية كالحديد، والنحاس والقصدير وأخشاب البناء، والصباغة، والألوان وأنواع الأخشاب الثمينة.

وكان تيار التصدير من شمال أفريقيا أقوى بدرجة كبيرة مما كان في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، حتى وصل إلى الفلاندر وبيروج، الحلود وغراء الغنم والشمع والسكر من مراكش، والبلح، والشب من سجلماصة، والشمع والشب من بجاية وتونس.^(٢٥)

وبالرغم من ضيق سوق البحر الأبيض المتوسط والضعف الناتج عن الإنتاج إلا أن تطورات إجتماعية ملحوظة بدرجة كبيرة قد حدثت في المدن الساحلية الكبرى، ومن المراكز التجارية الصناعية مثل تلمسان وأكثر من ذلك لوحظ النمو السريع في مدن المغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، والأرجح في علاقة هذا النمو بتطور سوق البحر الأبيض المتوسط مما يترك بعض المؤلفين مثل و. بروديل في كتابه الرأسمالي المخصص لتاريخ بلدان البحر الأبيض المتوسط في أواخر العصور الوسطى، حيث يعبر عن الفكرة القائلة بأن التحضر نشأ في انعزال عن التطور العام للبلاد.

ومن هنا يستنتج بروديل أن رفاهية مدن الشمال الأفريقي كانت تتوقف على التجارة العابرة من وسط أفريقيا فحسب، وبصورة أساسية على نقل الذهب من هناك، ويرى بروديل أن الذهب هو المحرك للتطور، وبفضله نشأت هذه المراكز بعد القرن العاشر، مثل الجزائر ووهران، وتطورت المدن الساحلية القديمة، ولم يكن نمو المدن الساحلية مؤثرا على الإتجار في السكر المصدر، ولكن على السير العام للتطور الداخلي للبلاد، ذلك التطور المنجذب إلى نظام أسواق البحر الأبيض المتوسط، ولم ينشأ في إنعزال عن المدن المحاطة بالمناطق الزراعية، بل على حساب هذه المناطق، لأن التبادل الإستثماري بين المدينة والقرية في القرون الوسطى لم يوجد.^(٢٦)

ومن سير نمو العلاقات التجارية مع بلدان البحر الأبيض المتوسط حدثت تطورات خطيرة في أوضاع الطبقات الاجتماعية وطوائف المجتمع من شمال أفريقيا، كما احتل الأرستقراطي الدم موقعا ممتازا داخل الطبقة الإقطاعية لشيوخ الموحدين، و شيوخ القبائل الذين كانوا يمتلكون الأراضي الزراعية والعقارات الضخمة، و الفرق العسكرية الكبيرة. وكانت "أرستقراطية الدم، في اتحاد خاص برئاسة شيخ الموحدين" يحدد سياسة الحكومة، ويصرف جميع شؤون الدولة، وأرستقراطية الموحدين، لم تفقد وضعها عند الحفصيين. فقد كان الحفصيون انفسهم منحدرين من أرستقراطية الموحدين، وقد استندوا إلى جزئها الإفريقي، وفي السنوات العشر الأولى أعلنت الدولة بجميع الرسائل ولاءها للتقاليد السياسية والدينية للموحدين.

ومع ذلك فحتى القرن الثالث عشر كانت مجموعة أخرى من الطبقة الإقطاعية التي سماها برونشعج (نبلاء المدينة) قد قويت إلى حد كبير، وفوق ذلك لوحظ أن الجزء الهام من ملاك الإقطاعيات الزراعية المتطورة إلى أعلى من أقاليم التل، الذين كانوا يعيشون باستمرار في المدن، كانوا مولعين بالحزمة في البلاط، وفي الوظائف العسكرية والإدارية المختلفة.

كانوا نبلاء المدينة، حتى القرن الثالث عشر كانوا أكثر ارتباطا من الموحدين بالتجارة والصناعة الحرفية في المدن كان اقتصادهم يحمل من المميزات السلعية أكثر مما يحمل إقتصاد شيوخ الموحدين.

وبتطور التجارة الضخمة فيما وراء البحار، توطد الموقف الإقتصادي لأرستقراطية هذا الجزء بدرجة كبيرة، واكتسب مغزى هاما من الإتجار بالصوف بنوع خاص، وكانت تربية الأغنام في شمال أفريقيا متطورة في منطقة^(٢٧) التل.

ولقد وجد أبو زكريا ظروفًا أكثر ملاءمة للتجارة الخارجية الواسعة فعقد سلسلة طويلة من المعاهدات مع البلدان الأوربية الواقعة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

وسعيا وراء توسيع التجارة مع أوربا، إتبع أبو زكريا سياسة سلمية مع البلاد المسيحية، ووطد علاقات الصداقة مع ملوك النصارى، وحقق قدرا كبيرا من النجاح، فقامت علاقات وطيدة خصوصا بين أبي زكريا وفريدريك الثاني ملك "صقلية"، وامبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة، كذلك الأمر في الحرب البحرية ضد جنوا وفينيسيا أمر فريدريك الثاني أن تراعي مصالح "ملك تونس" أخذا في الاعتبار أهمية المدن الإفريقية للتجارة مع هذه الجمهوريات.

وقد قامت العلاقات الودية بين أبي زكريا وملك أرغون يعقوب المنتصر خصمه في تلك السنوات التي كان فيها أبو زكريا الموحد حاكما لأشبيلية. كذلك توطدت الصداقة بوجه خاص بعد استيلاء يعقوب على بلنسية، أحد مراكز التجارة الكبرى في البحر الأبيض المتوسط، وقد توسط الخصمان الأخيران الكاثوليكي المتعصب ويعقوب المسلم والغيور أبو زكريا مجتمعين إلى البابا إينوكينت الرابع، أن يعطي "ملك تونس" تأكيدا رسميا بالسلام لمنع هجمات الصليبيين المتجهين إلى مصر.

وهذه السياسة الخارجية لأبي زكريا، ومعظم خلفائه كانت تختلف اختلافا كبيرا في سياسة أمراء شمالي أفريقيا في العصور السابقة، وكذلك عن سياسة الحكام الأتراك، والسلطة التي قامت في تونس في القرن السادس عشر، فبعضهم حكم في عصر ضعف تطور التجارة في البحر الأبيض^(٢٨) وحدث تغير في أوضاع البحر الأبيض المتوسط في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي حينما أخذ البرتغاليون يهتمون بسياسة البحر الأبيض المتوسط في محاولة الملك أفونسو الخامس للرد على سقوط القسطنطينية تلك المتعلقة بتقل المجتمعات التجارية الإيطالية في الإقتصاد البرتغالي مع ما ترتب على ذلك من زيادة في الأنشطة الاقتصادية في البحر الأبيض المتوسط، ووجود البرتغاليون في وسام القديس يوحنا القديس (رودس) مع مشاركتهم في الكورسيكان المشرقي وفي النضال ضد القوة البحرية للمماليك والعثمانيين حيث أصبح دور حدود البحر الأبيض المتوسط كمنطقة نفوذ أوربي وبعض الوجود البرتغالي أكثر واقعية مع

الملك جواو الثاني من خلال إتصاله مع تونس وإنشاء مركز تجاري في وهران بقيادة روي فرنانديز دي ألمادا بين (١٤٨٣-١٤٩٩م) وما تلاه من تجارة في السكر مع العثمانيين، مصحوبة بالحماية الممنوحة لرودس، حيث رأى الملك القاعدة الإستراتيجية المفقودة، في شرق البحر الأبيض المتوسط وهي "بوابة"^(٢٩)، حقيقة للسيطرة على البحر الأحمر من غرب المحيط الهندي. (١) وفي القرن الخامس عشر استجاب تكوين السياسة الأوربية المتوسطية للعديد من الأحداث التاريخية ولكن كان أحدها حاسما وهو التقدم العثماني في سنة ١٣٥٤م الذي ترجم إلى الفتوحات المتتالية لمراد الأول هو دافيد فار (١٣٢٦-١٣٨٩م) هو دافيد فار، ثم بايزيد الأول يلدرم (١٣٥٤-١٤٠٣م) ثم محمد الأول (١٣٨١-١٤٢١م) ثم مراد الثاني هوكا (١٤٠٤-١٤٥١م) ومحمد الثاني الفاتح الإستيلاء اللاحق على القسطنطينية (١٤٥٣م).

وهذه الحلقات إتسعت الحدود العثمانية للبحر الأبيض المتوسط والبلقان إلى الغرب بوثيرة متسارعة، فقد إستولى محمد الثاني على ممتلكات جنوة وتراقيا (فوجا وإبنوس) عام ١٤٥٥م، وأثينا عام ١٤٥٦م، كما يجب أن نتذكر أن الفتوحات العثمانية في القرن الخامس عشر الميلادي قد نفذت على حساب إثنين من الكيانات التجارية الكبرى في البحر الأبيض المتوسط جنوة، والبندقية، والتي يجب أن ترتبط بها فلورينسا بطريقة أقل إثارة، على الرغم من أن ممتلكات جنوة وفينيسيا، في بلاد بدت غير ذات أهمية جغرافية بسبب طابعها الإنعزالي مقارنة بالتوسع القاري لغزو السلاطين العثمانيين في ذلك الوقت، فإن الحقيقة هي أنه في القرن الخامس عشر كان كلاهما لا يزال مسيطر على قطاعات متنوعة على نطاق واسع، من الحياة الإقتصادية للبحر الأبيض المتوسط البرتغال والصعود^(٣٠) الذي حققته في التجارة الخارجية البرتغالية في البحر الأبيض المتوسط ربطهما على مستويات مختلفة بالسياسة والإقتصاد البرتغالي.

الخلاصة

موضوع البحر الأبيض المتوسط جزيرة مايوركا

قدم كلا من إنغريد هوساي ميتشينزي وإيمانويل فاجنو عملاً ممتازاً أطلق عليه "الخرائط التجارية وحركة التجار في مايوركا في القرن الخامس عشر م" حيث كان عملاً أكاديمياً رصيناً تكلم المؤلفان فيه عن النواحي الاقتصادية والتجارية في جزيرة مايوركا في فترة القرن الخامس عشر الميلادي تضمن فيها المصادر والمراجع العربية ، وتحتوي المقالة على معلومات ثمينة وإلا أن الملاحظ د. إنغريد هوساي ميتشينزي لم تكن تلتزم الحياد التاريخي في ذكر جهود التجار الموريسكيين والمسلمين من العاملين في مايوركا ، والتركيز دائماً على جهود التجار اليهود والمسيحيين وبالرغم من أن الأحداث قد جرت في فترة أبي زكريا الحفصي في الدولة الحفصية فقد تغاضت عن ذكر المحيط السياسي العربي المسلم وتكلمت المؤلفة عن دور اليهود في مايوركا وعن يهود المغرب وكأن اليهود لم يكونوا متعايشين مع السكان العرب في مايوركا ، و في شمال أفريقيا عموماً وكأن الدولة الحفصية لم تكن موجودة في مايوركا و شمال أفريقيا، ونحن ندرك أن رأس المال اليهودي والخبرة لدى الشركات اليهودية والمسيحية هي قوام النشاط الاقتصادي في التجارة العالمية ، كما يؤيده ما روته المستشرق زنفريد هونكة التي أشارت إلى النقود من سمرقند في حديثها عن مالقا Malaga في القرن الثالث عشر الميلادي.

أما المؤرخ الفرنسي شارل أندريه جوليان وغيره من المستشرقين الأوروبيين يؤكدون على دور اليهود الناجين والهاربين من محاكم التفتيش في أسبانيا في انتشار التجارة في مايوركا وشمال أفريقيا ، وكان التاريخ الاقتصادي في البحر المتوسط كتب على يد المستشرقين الأوروبيين الذين كان أسلوبهم التأكيد على دور العنصر اليهودي والمسيحي في نشر التجارة في القرن الخامس عشر الميلادي ، إلا أن الأغرب من ذلك للقارئ العربي ما سجلته د. إنغريد هوساي ميتشينزي في مقالها عن مايوركا، أن

الحضارة الغربية كانت وليدة حضارات الرومانية واليونانية - وهو ما يكاد يكون منتشرًا في البرتغال - بدون وسطاء لاغية بذلك دور العرب والمسلمين عن دورهم في نقل حضارة المسلمين في الأندلس ، وحضارتهم في صقلية وحضارة بغداد والمشرق إلى أوروبا.

ومن ناحية أخرى نلاحظ كيف أنهت المستشرق كارين بنتو في نقاشها حول رسم الخرائط الجغرافية حيث أكدت على أن الرسامين اللاتينين والأوروبيين في مايوركا وإيطاليا، وتناست دور العرب ومساهماتهم في علم الخرائط والجغرافية والفلك ، في الوقت الذي انتهجت فيه المستشركة ديجانيرة كوتو منهج الاعتدال والموضوعية في مناقشة الأمور العلمية التي درستها وقدمتها في ورقتها المعنونة "المساحات الشبكية" المساحات المكانية للشبكات في البحر الأحمر وغرب المحيط الهندي - رؤية للبحر الأحمر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي من خلال رسائل أفونسو دي ألبوكيرك (١٥١٣).

أما الدكتورة سغيثلانا باتسييفا ، في كتابها ، العمران البشري في مقدمة ابن خلدون ، الناشر الدار العربية للكتاب ، ليبيا، تونس ١٩٧٨م / ١٢٩٨هـ ص (٢٤-٣٧) فكانت أكثر إنصافاً للحق في مدح الحضارة الإسلامية.

المراجع

- (١) أرنو باسكال. اصول الطريق البحري ، مسارات من البحر الابيض المتوسط ، طبعة اراني -باريس ٢٠٠٥ ، ص٥-٢٣٢.
- (٢) جي. بي أوليفيرا مارتينيز، البرتغال في البحار، مكتبة برتراند، (٧٥) شارع جارت ١٨٨٩م لشبونة ص. ٨. كذلك انظر ويكيبيديا. الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٥-٥٨٧ / ١١١٩-١١٩٢م).
- (٣) جي بي، أوليفيرا مارتينيز، المرجع السابق ص. ٧.
- (٤) باسكال أرنو، المرجع السابق ص. ٥ - ص. ٢٣٢.
- (٥) باسكال أرنو، المرجع السابق ص ٦٧ - ١٠٧.
- (٦) باسكال أرنو، المرجع السابق، ص ١١٣.
- (٧) باسكال أرنو، المرجع السابق
- (٨) إيمانويل فاجنون ، الخرائط والشبكات الملاحة في نهاية العصور الوسطى، جامعة باريس، نانتيون، السوريون. ص. ٧٢.
- (٩) إيمانويل فاجنون، المرجع السابق، ص. ٧٣٠.
- (١٠) إيمانويل فاجنون، المرجع السابق، ص. ٧٣.
- (١١) ديجانيرة كوتو : المساحات الشبكية: المساحات المكانية للشبكات في البحر الأحمر، وغرب المحيط الهندي، علم الآثار ٨ ليون ٢٠٢٢، كل تروات العالم ستكون بين يديك، رؤية للبحر الأحمر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، من خلال رسائل أفونسو دي ألبوكيرك (١٥١٣م) ص. ١٩.
- (١٢) ديجانيرة كوتو، المرجع السابق، ص. ٢٨.

(١٣) ديجانيرة كوتو : البرتغال وحدود البحر الأبيض المتوسط في القرنين الخامس عشر والسادس عشر : السياسة الملكية رسم الخرائط للعالم المنعزل للشرق، معهد دراسات القرون الوسطى، شام، مركز العلوم الإنسانية مجموعة الدراسة ٢١، / باولو كاتارينو لوبيز / محرر، لشبونة ٢٠١٩.

(١٤) دومينيك فاليرتان، اسم APIM شريك مشروع المتوسط، مجتمعات البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي سنة ٢٠٠٩ ص. ١٢.

(١٥) دكتورة سغيتلانا باتسينا، المرجع السابق، ص. (٢٤-٢٧).

(١٦) دكتورة سغيتلانا باتسينا، المرجع السابق، ص. ٤٩.

(١٧) سغيتلانا باتسينا، المرجع السابق، ص. ٥٢.

(١٨) شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة ١٨٢٠م تعريب محمد مزالي والبشيري سلامة، الدار التونسية للنشر الجزء الثاني عام ١٩٨٢م، ص. ١٨٩.

(١٩) شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٩٠.

(٢٠) شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٩١.

(٢١) شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٩٦. ص. ١٩٧.

(٢٢) شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٩٨.

(٢٣) شارل أندريه جوليان، المرجع السابق، ص. ١٩٧.

(٢٤) د. نبيل عبد الحي رضوان، الغزوات الأسبانية والبرتغالية من الشمال الأفريقي (٥٨١٨ - ٥٩١٧ / ١٤١٥م - ١٥١١م)، ص. ٥٣٣ - ٥٨١، مجلة المؤرخ العربي،

إتحاد المؤرخين لوب بالقاهرة، العدد السادس، المجلد الأول، مارس ١٩٩٨م، ص. ٥٢٢، وما بعدها.

(٢٥) دكتورة سغيتلانا باتسينا، المرجع السابق، ص. ٢٤-٢٧.

(٢٦) دكتورة سغيتلانا باتسييفا، المرجع السابق، ص. ٤٠.

(٢٧) دكتورة سغيتلانا باتسينا، المرجع السابق، ص. ٤٢.

(٢٨) ص. ٣٧-٤٦.

(٢٩) ديجانيرة كوتو، البرتغال وحدود البحر الأبيض المتوسط في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي؛ السياسة الملكية ورسم خرائط للعالم المشرق المنعزل، ص. ٣٤٢.

(٣٠) ديجانيره كوتو، المرجع السابق، ص. ٣٤٧.

مقالات

مظاهر زهد وإيثار النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الدكتورة

إيمان صلاح عطاطة



مظاهر زهد وإيثار النبي محمد صلى الله عليه وسلم

د. إيمان صلاح عطاطرة / دكتوراة في التاريخ والحضارة
الإسلامية - مصر

eman_salah15@yahoo.com

كان النبي محمد (ص) زاهداً في الدنيا معرضاً عن زهرتها ومؤثراً للعقبى ، والإيثار من الأثر أي اختار وفضل وقدم، وأثرتك إيثاراً أي فضلتك^(١) ، والإيثار هو علامة الإيمان والمظهر الخارجي للحب الصادق، حيث التفاني والعطاء وتفضيل الآخرين على النفس ، وكان الإيثار وعدم توريثه من خصال نبي الله فإن الله سبحانه وتعالى ومن سننه^(٢)، قد خصه في هذا الفء بشيء لم يعطه أحداً غيره ، فقال جل ذكره "ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب"^(٣). وقال النبي (ص) "ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين"^(٤) .

فكان النبي (ص) كفافاً فلم يكن يهتم بأمور الدنيا وزاهداً فيها وإنما كان اهتمامه للآخرة، فكان (ص) مقتصراً في ملبسه ومأكله ونفقته على قدر الضرورة منها فكان يكتفى من الطعام والزاد ما فيه البلغة والكفاية^(٥)، وكان من دعائه (ص): "يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك ، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك"^(٦). ومن مظاهر كرمه وزهده (ص) أنه لم يحصل أن اجتمع عنده غداء وعشاء على خبز ولحم لكثرة إكرامه لضيوفه^(٧)، وكان يمكث النبي وأهل بيته لا توقد النار في بيته شهراً ويعيشون على التمر والماء^(٨)، وكان النبي يبيت الليالي طاوياً وأهل بيته لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير^(٩)، وكان النبي (ص) يدعو لأهله اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً^(١٠)، وبعد أيام الشدة التي واجهت النبي عليه السلام وأصحابه من اضطهاد الكفار لهم فكان النبي عليه السلام يربط حجرين على بطنه كي يخفف شعوره بالجوع^(١١)، حتى أنه كان يظل بالثلاثين

ليلة ويوم لم يجد طعام وذلك راجع لتضييق قومه عليه ليكيف عن الدعوة^(١٢) ، كان في بعض الغزوات لا يأكل إلا ورق الشجر والحبلة حتى أصابته بعض القروح لكنه (ص) مضى زاهداً صابراً ومجاهداً حتى أظهر الله به الدين^(١٣) .

وكان يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنق في ملبس وأحب اللباس إليه الحبرة من برود اليمن^(١٤) ، وإذا ذهب لزيارة أحد لا يطلب أحسن مركوب وأجمله بل يذهب على ما تيسر وإلا ذهب ماشياً^(١٥) .

وكان فراشه (ص) حشوه من ليف^(١٦)، فدخلت إحدى النساء من الأنصار لمقابلة النبي (ص) في بيت السيدة عائشة فرأت فراش النبي (ص) عباءة مثنية، فانطلقت وأرسلت فراش حشوه من الصوف فرفض النبي (ص) وأمر السيدة عائشة بإرجاعه على الفور^(١٧) .

وكان النبي (ص) يستند على حصير فيعلم على جسده (قد أثر في جنبه) ودخل الفاروق عمر بن الخطاب على النبي (ص) ذات مرة في بيته فلم يجد عنده سوى بقايا شعير، وهو ساند على رمال حصير قد أثر في جنبه ووسادة من حشو ليف فبكى الفاروق وقال يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه فكيف يكون هذا حالك وكسرى وقصر مقيمين في النعيم ! فرد عليه النبي (ص) أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟!^(١٨) . وعندما أراد الفاروق عمر بسط شيئاً على الحصير ليقبه ذلك فقال النبي (ص) "مالي ومال الدنيا وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"^(١٩) .

والجدير بالذكر إن زهد النبي (ص) لم يكن لاضطرار وإنما كان باختيار منه ولم يكن لفقر وإنما كان لرقته الروحية فما كان يهتم بالعلائق المادية ، فكان الفقر أحب إليه من الغنى ، وإن كان ليظل جائعاً يتلوى طول ليله من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ، ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها^(٢٠) ، فلقد عُرض عليه أن تجعل له مكة ذهباً ، أو أن تكون الجبال ذهباً لا حساب عليه فيها ، فاختر أن يكون نبياً

عبدًا يجوع يوماً ويشبع يوماً^(٢١)، وجيئت إليه الأموال من شتى الجهات فصرفها في مصارفها وقوى المسلمين بها وسد به فاقتهم وأغنى بها فقرائهم ولم يستأثر منها بشئ لنفسه^(٢٢)، فإن مظاهر الزهد هذه كانت اختيارية ولم تكن اضطرارية، ولم يكن قصد النبي (ص) من هذا الزهد هو صد الناس عن الانتفاع بالطيبات أو الاستفادة بالحلال^(٢٣).

وقد كان النبي (ص) في كرمه وجوده أجود من الريح المرسلة، وكان يقدم الكثير من العطاء، ولا يخشى الفقر فكان يفضل غيره على نفسه ويقدم كل ما يملكه لغيره بكل ترحاب وحب، فالإيثار هو خلق يتصف به النبي (ص)، فكيف لا يكون أكرم الناس وهو المتوكل الذي لا أعظم منه في توكله، الواثق برزق الله ونصره والمستعين بربه في جميع أمره^(٢٤)، وهناك العديد من النصوص التي تروي لنا مدى اتّصاف النبي بخلق الإيثار سواء مع المسلم أو غير المسلم.

وكان نبي الله أجود الناس بالخير أي أعظمهم كرمًا وسخاء وبذلاً وإنفاقاً، فكان (ص) يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي عطاء الملوك ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فكل ما جاءه أنفق، وكان (ص) يبيت ليلًا طاويًا، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع فإذا جاءه السائل أنفق ما عنده، وكان (ص) يأتيه المال الكثير فلا يبيت ليلة إلا وقد فرقه بأكمله، وكان يزيد في العطاء والسخاء في شهر رمضان المعظم^(٢٥).

وقد استشكل البعض النبي (ص) كونه كان يطوي الأيام جوعاً، رغم ما ثبت أنه جاءه الأموال الكثيرة، فأجاب أحد الفقهاء على ذلك، أن ذلك كان منه في حالة دون حالة لا لفقر أو لضيق وإنما للإيثار^(٢٦).

وكان جوده (ص) كله لله وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال تارة لفقر أو لمحتاج، وتارة ينفقه في سبيل الله، وتارة يتألف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه^(٢٧). فإذا سأل أعطى ما يملك، وإذا سأل وهو لم يملك شيء يعطيه وعد ولم

يزد، وأحياناً يأتيه الرجل وما عنده شيء فيقول له ابتع على فإذا جاءنا شيء قضينا فيعتذر منه وكأنه يطلب منه العفو^(٢٨).

ولم يكن الإيثار في المال فقط، بل في شتى المعاملات فكان النبي (ص) يؤثر العجائز فبعد فتح مكة أتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بوالده وهو عجوز ضعيف فاقد البصر إلى النبي (ص) فعتب النبي على أبي بكر وقال له لماذا أتعبت أهلك بالمجيء إلى أنا نفسي أمشي إليه^(٢٩). وكان قبل بعثته وبعده وحتى وفاته ملجأ للفقراء والأرامل والأيتام والضعفاء والمساكين^(٣٠). وكان يؤثر أصحاب السيدة خديجة، فعندما أهدى أحد الصحابة النبي (ص) لحماً وجزوراً فبعثها إلى إحدى معارف السيدة خديجة - رغم احتياج بيته إليه- حيث كانت قد أوصته بها قبل وفاتها^(٣١).

وكان النبي (ص) أكرم الناس وأسخاهم ما سئل شيئاً فقال لا ولا يبيت في بيته دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد من يأخذه فلم يرجع من منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما أتاه الله إلا قوت أهله فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام^(٣٢). وذات مرة دخل أحد الصحابة على نبي الله فوجده ساهم الوجه فسأله ماذا بك يا رسول الله؟ فقال لا وجع بي غير أن السبعة دنائير التي جاءت إلى أمس لم أنفقها في سبيل الله نسيبتها من وجع المرض^(٣٣).

وقد شهد بلال بن رباح على نبي الله (ص) أنه منذ بعثته حتى وفاته إذا أتاه مسلم فراه عائلاً فكان يأمر بلال أن يقترض ويشترى البردة والطعام لكسوته وإطعامه ، حتى اعترض أحد المشركين وطلب من بلال ألا يقترض من أحد غيره ففعل ذلك وكان غرض المشرك من ذلك منه عليهم وإذلالهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أنعم على نبيه (ص) بأربعة ركائب عليها أحمال كثيرة من مال وكسوة وطعام ، فسدد بلال كل ديون النبي (ص) ولم يأخذ نبي الله منها شيئاً لنفسه بل وتبقى من هذه الأموال ديناران فانظر في المسجد حتى يأتيه سائل فيعطيه إياها فلم يأت أحد في تلك الليلة وقال لبلال "انظر

أن تريحني منهما ، فلسست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما" ، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في اليوم الثاني حتى جاء في آخر النهار راكباً فاطعمهما وكساهما ، فكبر وحمد الله خوفاً من أن يدركه الموت قبل أن ينفق الدينارين المتبقين عنده^(٣٤).

وكان النبي (ص) لا يدخر شيئاً لنفسه للغد، وذلك لسخاء نفسه وثقته بربه، إلا أن يكون قوتاً لأهله وولده، فجاء عنه (ص) ما يدل على ما كان يدخره لهم أنه عندما باع نخل بني النضير أنفق كل ما جاءه وحبس لأهله قوتهم فقط^(٣٥)، كما أوصى النبي (ص) بلال بن رباح والسيدة عائشة بأن ينفقا في سبيل الله ولا تدخروا وتمنعوا ما في يديكم خوفاً من الفقر^(٣٦).

فكانت هذه خالصة لنبي الله وما احتازها دون أهله (عمه العباس وعلي" ولا استأثرها عليهم فلقد أعطاهم وقسمها بينهم فكان النبي ينفق على أهله نفقة سنتهم من ماله، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجمل مال الله تعالى وعمل على ذلك طول حياته وحتى وفاته^(٣٧).

وفي ذات المنحى عُرف النبي (ص) بالإيثار فكان يوزع على أصحابه كل ما غلا من الغنيمة ويقنع بالقليل والخشن وبلغ في ذلك نهاية ما عرف من الكرم^(٣٨)، فعندما جاء سلمان الفارسي إلى النبي (ص) حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب ووضعها بين يدي النبي (ص) وقال له هذه صدقة عليك وعلى أصحابك فرفضها النبي وقال نحن لا نأكل الصدقة، فجاء سلمان في اليوم التالي بمائدة مثلها وقال للنبي هذه هدية لك ولأصحابك فقبلها النبي وأعطاهما لأصحابه^(٣٩).

وكان يوزع على أصحابه في معظم أوقاته ما تأتية من هدايا ثمينة^(٤٠)، فأشارت النصوص أنه قدمت امرأة هدية للنبي عليه الصلاة والسلام، وكانت عبارة عن بردة، ولبسها النبي عليه السلام، حيث إنه كان محتاجاً إليها، فرآه أحد الصحابة، وأبدى إعجابه بالثوب وطلبه منه، فقدمها النبي محمد (ص) له بالرغم من حاجته إليها بكل طيب خاطر وسرور، وعندما رآه أصحاب النبي أخبروه بأنه لم يكن عليه أن يطلبها

من النبي عليه السلام وهو محتاج لها، حيث إنه يستحيل أن يرفض طلبه لأنه لا يرد سائلاً. فأخبرهم بأنه لم يقصد أن يطلبها من النبي ليلبسها، بل قصد أخذ بركة من نبي الله وكذلك أن يكفنه بها عند موته، وهذا ما حصل، حيث إنه احتفظ بها وكفن بها بعد موته^(٤١).

وكذلك أهدى أحد تجار اليمن النبي (ص) حلة ذي بزن فردها ورفض أخذها، فابتاعها فاشتراها فلبسها وخرج إلى أصحابه فأتوا عليه فخلعها وألبسها لأسامة بن زيد وأهداها له^(٤٢)، وقد أهدى أحد الصحابة النبي (ص) ثلاثة طيور، فأطعم خادمه طائراً وفرق الباقي ولم يدخر شيئاً لغد^(٤٣).

وبما أن الإيثار يحقق الاكتفاء المادي والاقتصادي لأكبر عدد من الأشخاص كان النبي (ص) لا يدخر عن الآخرين شيئاً، وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمته على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج فيتشأغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم^(٤٤)، وعمت أعطيات نبي الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومكة^(٤٥)، فجاء أعرابي إلى النبي (ص) يطلب منه مالاً حيث إنه مال الله وليس مال محمد، فضحك النبي وأمر بأن يحمل له شعير على بعيره، وعلى البعير الثاني تمر^(٤٦)، وكذلك جاء رجل إلى النبي (ص) يسأله، فاقترض له النبي نصف وسق، فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال: نصف قضاء ونصفه نائل (أي كرم منا)^(٤٧).

وفي يوم حنين بلغت الغنائم ستة آلاف أسيراً، وأربعاً وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الغنم، وأربعة آلاف أوقية من الفضة^(٤٨)، فقسم النبي (ص) تلك الأموال الجزيلة من الإبل والأغنام والذهب والفضة في المؤلفة، ومع هذا لم يعط الأنصار والمهاجرين شيئاً، بل أنفق فيمن كان يحب أن يتألفه في الإسلام، وترك أولئك لما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ولم يأخذ منها شيئاً وعاد إلى بيته كما خرج منه بالخير والبركة^(٤٩)، وفي يوم حنين أتت امرأة وأنشدت شعراً تذكره بأيام

رضاعته في هوازن فرد عليهم ما أخذ وأعطاهم عطاء كثيراً حتى قدر ما أعطاهم في ذلك اليوم بخمسمائة ألف ألف وهذا نهاية الجود الذي لم يُسمع عنه^(٥٠).

وبلغ عطاء النبي (ص) الداخلين في الإسلام فعندما أسلم مالك بن عوف رد النبي (ص) ماله وأعطاه مئة من الإبل فحسن إسلامه وأحب النبي (ص) ^(٥١). كذلك عندما أسلم أبي العاص بن ربيع بعدما رد النبي (ص) ماله وزوجته وأحسن إليه ^(٥٢) وذلك ليجبهم إلى الإسلام ويشيع جواً من الألفة والمحبة. وأعطى نبي الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرفاً من أشرف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان ابن حرب مئة بعير، وأعطى ابنه معاوية مئة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مئة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة، أخا بني عبد الدار مئة بعير ^(٥٣).

وجاء النبي (ص) بمال كثير من البحرين فأمر بنثره في المسجد ولم يلتفت إليه، فما كان يرى أحداً في المسجد إلا وأعطاه، وهكذا أعطى عمه العباس بعد ما أسلم حين جاءه ذلك المال من البحرين فوضع بين يديه في المسجد، ولم يقوَ العباس على حمله ^(٥٤)، وكذلك جاء إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام بتقسيمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها ^(٥٥).

وكان النبي (ص) يؤثر الآخرين على ابنته وإن كانت ابنته في أمس الحاجة، فأتاه كثير من السبي، فأتت إليه ابنته السيدة فاطمة تشكي له تعبها من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والذكر والتحميد وقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع ^(٥٦).

لم يقتصر إيثار النبي (ص) على المسلمين فقط بل شمل غير المسلمين، فلا إيثار النبي (ص) أثر كبير في دخول الكثير في الإسلام، فقد أتى النبي (ص) رجل غير مسلم فأمر له غنماً كثيرة بين جبلين، فذهب إلى قومه يحثهم على الدخول في الإسلام، قائلاً

"يا قوم أسلموا ، فإن محمد يعطي عطاء ما يخشى الفاقة"، وهذا العطاء ليؤلف به قلوب ضعيفي القلوب في الإسلام ، ويتألف آخرين للدخول في الإسلام^(٥٧). وكان النبي (ص) يعطيهم ذلك لأنه علم أن داءهم لا يزول إلا بهذا الدواء وهو الإحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم وهذا من كمال شفقتة ورحمته ورأفته (ص)^(٥٨).

وكان النبي (ص) يقضي ديون المسلمين^(٥٩)، وكان يقول من مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاءه، ومن ترك مالاً فلورثته^(٦٠).

ومن مظاهر زهد النبي (ص) في الدنيا والأموال (ميراثه) فإن ما تركه النبي فهو شيء يسير جداً يُعد على أصابع اليد وجعله (ص) صدقة^(٦١)، فما ترك ديناراً ولا درهما ولا شاه ولا بغيراً ولا جارية ولا عبداً^(٦٢)، فكانت الدنيا بحذافيرها أحقر عنده من أن يسعى لها أو يتركها بعده ميراثاً^(٦٣)، بل ما تركه من أرضه (ص) يؤخذ منه نفقة لنسائه وأخرى لعامله والمقصود بالعامل من يلي أمر المسلمين بعده^(٦٤)، وتوفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين درهماً من أجل شراء شعير لأهل بيته^(٦٥).

ومن لطيف صور هذا السياق أنه نودي على المسلمين في سوق المدينة بعد وفاة النبي (ص) أن ميراث رسول الله يقسم في المسجد ومن يريد منه شيئاً فليذهب إلى المسجد فذهبوا ودخلوا المسجد ولم يجدوا فيه شيئاً فتساءلوا أين هذه الإرث؟ فأجابهم أبو هريرة هذا هو إرث رسول الله (ص) (قومًا يصلون، وقومًا يقرؤون القرآن، وقومًا يتذكرون الحلال والحرام، فذلك هو إرث نبي الله)^(٦٦).

ومما يدل على تركه الدنيا واعراضه عنها وإطراحه لها أن ما كان عنده من دور ومساكن نسائه وإماء وعبيد وخيول وإبل وغنم وسلاح وبغلة وحمار وثياب وأثاث وخاتم وغير ذلك فلعله عليه السلام تصدق بكثير منها في حياته منجزاً، وأعتق من

أعتق من إمائنه وعبيده، وأرصد ما أرصده من أمتعته، مع ما خصه الله به من الأرضين من بني النضير وخيبر وفدك في مصالح المسلمين^(٦٧).

نهاية القول، تحلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام بأرقى صفات الإنسانية وهي الإيثار والكرم والتكافل، وهي من أكثر الصفات التي تشيع جواً من الألفة والمحبة والمودة بين الناس وبالتالي تكوين مجتمع مثالي.

المراجع

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج ٤، ص ٧؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالفتاح الحلو، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٨٦م، ج ١٠، ص ٢٠

(٢) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٥٧٥

(٣) سورة الحشر، أية ٦.

(٤) القاضي محمد سليمان: رحمة للعالمين، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ، ص ٢٤٦، ٢٤٧

(٥) الترمذي: الشمائل المحمدية، تحقيق عباس عبيد الدعاس، دار الحديث، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٧٢؛ أنور الجندي: شمائل الرسول وشخصيته الإنسانية، مطبعة التوكل، بمصر، (د.ت)، ص ٣٣؛ عبد الله بن عبد المحسن بن البدر: شرح شمائل النبي (ص) لأبي عيسى بن محمد بن عيسى الترمذي، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠١٤م، ص ٣٨٩

(٦) القاضي محمد سليمان: رحمة للعالمين، ص ٢٤٥

- (٧) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ٦٤، ٧٠؛ ابن كثير: شمائل الرسول، دار الندى، الإسكندرية، (د.ت)، ص ٩٦؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤١٦
- (٨) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ٦٥؛ ابن كثير: شمائل الرسول، ص ٩٣؛ القاضي محمد سليمان: رحمة للعالمين، ص ٢٤٧
- (٩) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ٧٣، ٧٤؛ ابن كثير: شمائل الرسول، ص ٩٥؛ القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٣٨٠
- (١٠) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٤٦٧؛ ابن كثير: شمائل الرسول، ص ٩١؛ القاضي محمد سليمان: رحمة للعالمين، ص ٢٤٧
- (١١) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ٦٥؛ ابن كثير: شمائل الرسول، ص ٩٧؛ الحصري: حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، دار المنهاج، جدة، ط ٤، ٢٠١٥م، ص ٤٣٨؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج ٢، ص ٣٨٦؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤٠٤
- (١٢) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ٧٠؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤١٦
- (١٣) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ٦٨؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤١١
- (١٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٧٣
- (١٥) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ١٦٣؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٣٧١

- (١٦) ابن اسحاق : السير والمغازي ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ١٩٥ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٩ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٧
- (١٧) الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ٧٣ ، ٧٤ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٥
- (١٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٦ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٨٩ ، ٩٠
- (١٩) ابن اسحاق : السير والمغازي ، ص ١٩٥ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٠ ؛ السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ج ٤ ، ص ٥٦٣
- (٢٠) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٥٧٨
- (٢١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ ؛ الحضرمي : حقائق الأنوار ، ص ٤٣٧
- (٢٢) الحضرمي : حقائق الأنوار ، ص ٤٣٧
- (٢٣) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٤٧
- (٢٤) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٩
- (٢٥) الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٧ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ؛ عبد الله بن البدر : شرح شمائل النبي ، ص ٣٨٨
- (٢٦) القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٨٨
- (٢٧) القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٢
- (٢٨) الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ٦٤ ، ٦٥ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ١٠٢ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧١ ؛ عبد الله بن البدر : شرح شمائل النبي ، ص ٤٠٣ ؛ القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٤٣
- (٢٩) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٤٠

(٣٠) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٩ ؛ القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٤١

(٣١) ابن اسحاق : السير والمغازي ، ص ٢٤٤

(٣٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ١ ، ص ٧١

(٣٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٧٠ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٩

(٣٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ١٠١

(٣٥) الترمذي : الشمائل المحمدية، ص ١٧٢ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٧١ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٩ ؛ عبد الله بن البدر : شرح شمائل النبي ، ص ٣٨٩ ،

(٣٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٢ ، ص ٤٧١ ؛ ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٩

(٣٧) الترمذي : الشمائل المحمدية، ص ١٩٢ ، هامش ٢ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥٧١ ؛ عبد الله بن البدر : شرح شمائل النبي ، ص ٤٥٠

(٣٨) أنور الجندي : شمائل الرسول وشخصيته الإنسانية، ص ٣٣

(٣٩) الترمذي : الشمائل المحمدية، ص ١٨ ، ١٩

(٤٠) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٣٩

(٤١) ابن الملقن: التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي ، دار النوادر، دمشق - سوريا، ٢٠٠٨ م ، ج ١٤ ، ص ٢٠٠ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٣

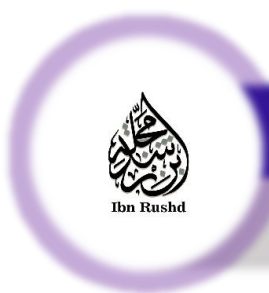
(٤٢) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٨

(٤٣) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٩٩

(٤٤) الترمذي : الشمائل المحمدية، ص ١٦١

- (٤٥) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ٢ ، ١٣٧٥هـ — - ١٩٥٥ م ، ج ١ ، ص ٥١٨
- (٤٦) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٤٥
- (٤٧) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٤٤
- (٤٨) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ ؛ القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٥٧٢
- (٤٩) القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧١
- (٥٠) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٨ ، ١٠٢ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٨
- (٥١) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٤٩١
- (٥٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٥٥٩
- (٥٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٣
- (٥٤) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٨ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧١ ، ٣٧٢
- (٥٥) القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧١
- (٥٦) القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٧٣
- (٥٧) ابن كثير : شمائل الرسول ، ص ٧٧ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٧
- (٥٨) القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج ٢ ، ص ٣٦٨
- (٥٩) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٥٤٢
- (٦٠) القاضي محمد سليمان : رحمة للعالمين ، ص ٢٤٤
- (٦١) الترمذي : الشمائل المحمدية ، ص ١٩١ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٥٦٠ ؛ عبد الله بن البدر : شرح شمائل النبي ، ص ٤٤٥

- (٦٢) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ١٩٤؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٦٠؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤٥١؛
- (٦٣) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ج ٥، ص ٣٠٣؛ السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٦٠؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤٤٥؛
- (٦٤) الترمذي: الشمائل المحمدية، ص ١٩٣؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٦٠؛ عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤٤٨؛
- (٦٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٤٦٩؛ ابن كثير: شمائل الرسول، ص ٩٦؛ السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٦١؛ الحضرمي: حقائق الأنوار، ص ٤٣٨؛ القسطلاني: المواهب اللدنية، ج ٢، ص ٣٨٥؛ القاضي محمد سليمان: رحمة للعالمين، ص ٢٤٧؛
- (٦٦) عبد الله بن البدر: شرح شمائل النبي، ص ٤٥١؛
- (٦٧) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٤٩، ٣٥٠؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥٦٤، ٥٦٥؛ الحضرمي: حقائق الأنوار، ص ٢٩٢.



Editorial and advisory board

Volume 2, No. 7, August, 2025

Editorial Consultants

DR. Sayel Khataybi DR. Khather Asserhan DR. Azzam Abo Alhamam DR. Mahmud Fatatah

Editorial Consulting Board

Name	Country	Name	Country
DR. Areaj Jaber	Jordan	DR. Asmaa Khasawni	Jordan
DR. Khaled Ashraydi	Jordan	DR. Rabeaha Rfa3y	Jordan
DR. Khaled Mayyas	Jordan	DR. Ali AL-Hallag	Jordan
DR. Abd assalam Yahia Sayed	Mauritania	DR. Asmaa Idballa	Morocco
DR. Mohamad Bany Easa	Jordan	DR. Ekram Albasheer Aljamal	Libya

A refereed Quarterly Scientific Journal for Social and humanity Studies

Issued by

Ayn Alsultan Foundation for studies and research

Irbid/ Jordan

Mobile:

00962799045000-00962788031031

Email:

ibn.rushid@yahoo.com / ibn.rushed01@gmail.com

website:

<https://ibn-rushed.com/>

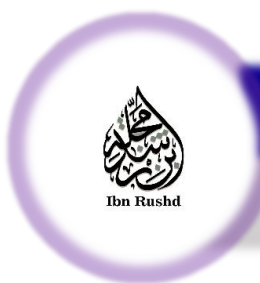


Editorial and advisory board

Volume 2, No. 7, August, 2025

Advisory Board

Name	Country	Name	Country
Prof.DR. Ali Mahaftha	Jordan	Prof.DR. Ehsan Rabbay	Jordan
Prof.DR. Fawaz Abd Al-Hag	Jordan	Prof.DR. Fathy Salem AL_laheaby	Iraq
Prof.DR. Waleed Abd Al-Hay	Jordan	Prof.DR. Nour Al-deen Amayt	Morocco
Prof.DR. Yousef Abo Al-Odous	Jordan	Prof.DR. Mohamad Al- Mokhtar	Senegal
Dist.Prof.DR. Ebraheem Jadleh	Tunisia	Prof.DR. Emran Mahaftha	Jordan
Prof.DR. lofty Abo Al-hija	Jordan	Prof.DR.Tharwat Hawamdeh	Jordan
Prof.DR. Fayez Abo Areada	Jordan	Prof Dr. Sabrina Alwaer	Algeria
Prof.DR. Ahmad Jawarneh	Jordan	Prof.Dr.Naama Maalaynyn	Morocco
Prof.DR. Mohamad Hazaymeh	Jordan	DR. Saleh Mahrous Mohamad	Egypt
Prof Dr. Likhdar Moh'd Bolatif	Algeria	DR. Ashwag Abbas	Syria
Prof.DR. Fayez Al-Najar	Jordan	Dr . Eaman Saleh Atata	Egypt
Prof.DR. Mohamad Al-momany	Jordan	DR Moh'd Farahat	Palestine
Prof.DR. Nabeel Al-Najar	Jordan	DR. Nabeal Gareasah	Tunisia
Prof.Dr. Mohamad Kentawi	Algeria	DR.Hend Fakhry Saeed	Iraq
Prof.Dr. Hamdado Bin Omer	Algeria	DR. Rabee owaise	Palestine
Prof.DR. Waleed Hamidat	Jordan	DR. Ammar Ganat	Russia
Prof.DR. Talal Altorifi	Saudi Arabia	DR. Ibrahim Gharaibeh	Jordan
DR. Yousef Rababaa	Jordan	DR.Khalid Ashagran	Jordan



Instructions for publication (1)

Volume 2, No. 7, August, 2025

1- Ibn Rushd Journal of Studies publishes original scientific research by researchers and author's in the social and human sciences, written in Arabic or English only.

2- The research is printed on one side of the paper using double space and footnotes (at least 2.5 cm on each side), and the pages must be numbered.

3- The Research must not have been published or submitted for publication anywhere else.

4- Research is subject to refereeing according to established scientific principles, and if modifications to the research are requested, it is returned to the researcher to make the required modifications.

5- The journal is not committed to publishing the research except after making the required amendments, or the editorial board undertakes to make some of the required amendments in accordance with the publishing policy.

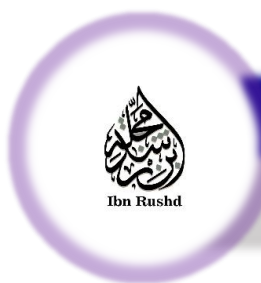
6- Research must be typed using Word, according to the form found in the following publishing instructions:

- The main titles of the research must be formatted as (Arial/Bold/14) for Arabic Language, (Times New Roman/Bold/14) for English Language.
- The sub-titles of the research must be formatted as (Arial/Bold/12).
- The body of the research must be formatted as (Arial/12).
- The number of research words should not exceed 5,000 words, with a maximum of 15 A4 pages, with a distance between lines of 1.5.
- The research sent to the editor-in-chief of the journal via email, noting that no paper copies of the research will be received.
- The research must include the research title, the name of the researcher or researchers, the abstract, keywords, introduction, research methodology, results, discussion, footnotes - if any - and references.

7- The abstract must not exceed 150 words, and contain the goal of the study, the method, results and recommendations.

8- Tables and figures are numbered respectively according to their occurrence in the research.

9- When the research is approved for publication, the ownership rights are transferred to the journal.



Instructions for publication (2)

Volume 2, No. 7, August, 2025

10- The sources and references are written in the margin at the end of the research, and the sources and references are indicated in the body of the research by sequential numbers placed in parentheses, and this is as follows:

- The name of the author/authors is written as he or she are, and if there are more than two, the first name is written and the rest (others), year of publication, name of reference, publisher, edition, place of publication, and page are indicated.
- Translated books, as previously mentioned, with the translator mentioned immediately after the name of the reference.
- Journals: Name of the author: Title of the research or study, name of the journal, issue, volume, year, page.
- Doctoral or master's theses: author's name, thesis title, university, year, page.
- Books in English or other languages, name of the author, year of publication, name of the reference, publisher, edition, place of publication, page (written in English or the language of the reference).
- Journals in English or other languages, name of author, title of research or study, name of volume, issue, volume, year, page (in English or language of the Journal).
- Conferences: name of the presenter of the paper or report, title of the paper or report, name of the conference, place of the conference, year, page.
- Newspapers: the name of the writer of the article or news, its title, the name of the newspaper, the place of publication, the issue, and the date.
- Websites: name of the website, title of the article or news, name of the writer, link in English, date of publication, time.
- The research language may be English or any other living language, provided that an abstract is submitted to the journal in Arabic.

11- If the research is published, no other party may republish it, publish a summary of it, or publish a translation of it in any medium (book, newspaper, or other periodical) without with written approval from the Journal's Editorial Board.

12- The researcher will be informed of the publication date within a period of no less than one month from the date of receipt of the research.

13- The Journal reserves the right of keeping the research, whether published or not.

14- The Journal reserves the right to publish the research in accordance with the Journal's editorial policy.

15- The researcher pays the fees if the research is approved for publication.

16- Research papers should be sent to the following address:

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com



قسمة اشتراك في مجلة ابن رشد للدراسات

.....: لمدة
.....: ابتداء من
.....: الاسم
.....: العنوان

الاشتراك السنوي في مجلة ابن رشد للدراسات يشمل أجور التجديد .

ب. خارج الاردن

أ. داخل الأردن

للافراد : 15 ديناراً	للافراد : 30 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات : 30 ديناراً	للمؤسسات : 60 دولاراً أمريكياً
للطلبة : 10 دنائير	للطلبة : 20 دولارات أمريكية

طريقة الدفع :

شيك	حوالة بريدية	حوالة بنكية	بطاقة اعتماد (فيزا)
☐	☐	☐	☐

ترسل القسمة مع رسم الاشتراك إلى :

هاتف:

00962799045000/ 00962788031031

البريد الالكتروني:

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com



رقم الأيداع : D/2023/1654

ISSN 3007-021X

ISSN (ONLINE) 3006-7634

Ibn Rushed

Journal for Studies

(IJS)

A refereed Scientific and Intellectual Journal

for Social and humanity studies

Issued by

Ayn Alsultan Foundation for

studies and Research

الأردن - JORDAN

VOL. 2 ISSU. 7 AUGUST 2025